يقظة أُولي الاعتِبار

مما وردَ في ذكرِ النارِ وأصحابِ النّار

تصنيف

العلاّمة صِدِّيقْ حَسَنْ خَانْ القنوجي

(١٢٤٨-١٣٠٧هـ)

حقّقه وخرّج أحاديثه وآثاره

اياد بن عبداللطيف بن إبراهيم القيسي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-170-9

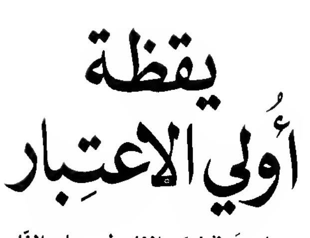
الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

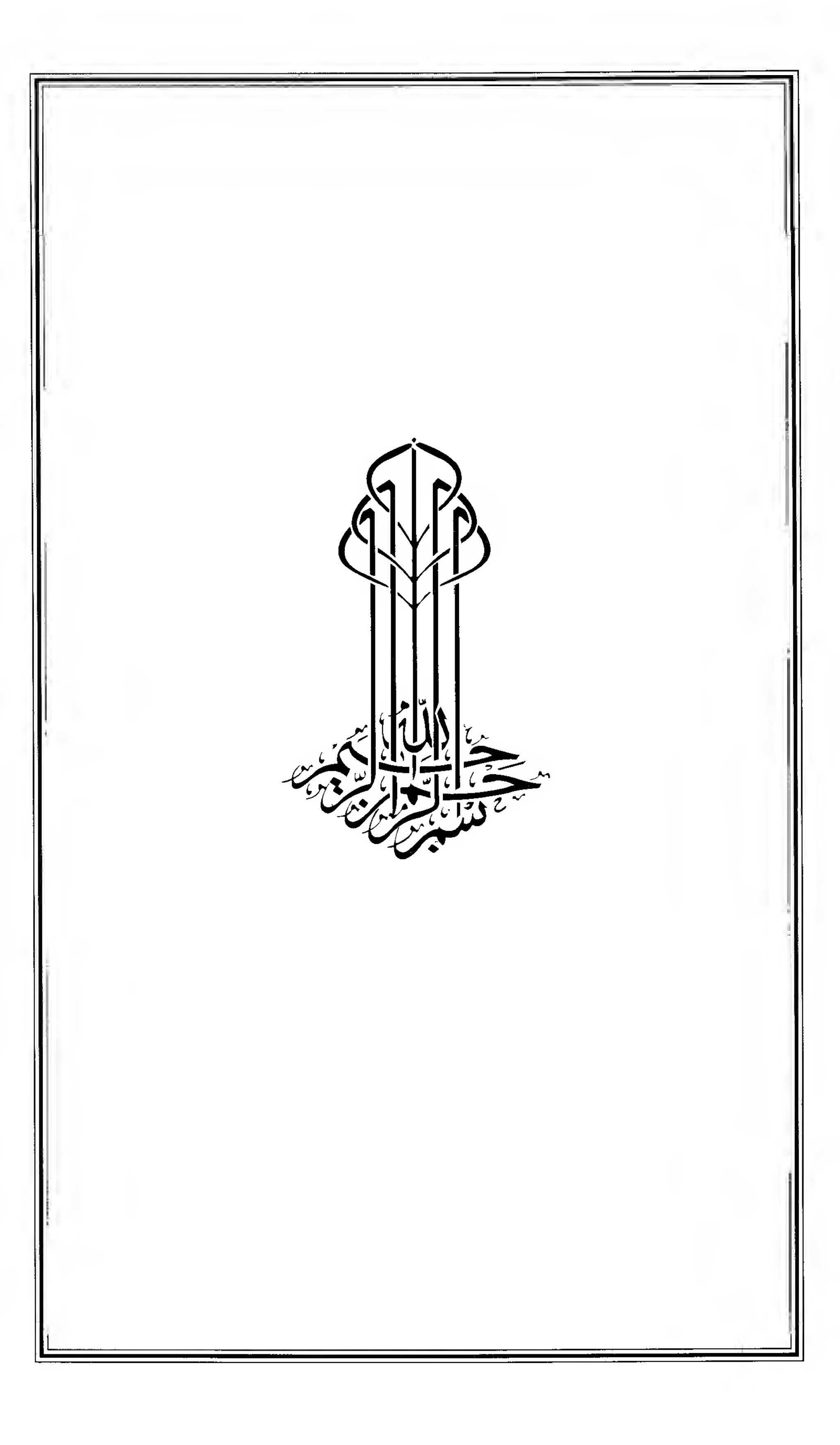
دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb


يقظة
أُولي الاعتِبار
مما وردَ في ذكرِ النارِ وأصحابِ النّار


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد:

فهذا كتاب لأحد أئمة الإصلاح في القرن الثالث عشر للهجرة والذين مهّدوا لنا سبل الهداية، وموضوع الكتاب في السلوك والرقاق، والحث على الزهد في الدنيا، والتطلع إلى الآخرة، حوى في جنباته ما يزعج النفوس ويكدر عيشها في الدنيا، ويبعدها بسبب ما تجنيه من التقوى عن موارد العطب والهلاك، في كتابنا هذا صفة النار في آيات القرآن الجليل، ثم بأحاديث النذير البشير مما صح ومستأنساً بما ضعف منها، ثم بما ورد عن السلف من آثار في تفسير كتاب الله.

وهذا هو الكتاب الثاني الذي أحقّقه في هذا الموضوع، بعد أن حققت كتاب العلاّمة الحافظ ابن رجب الحنبلي الموسوم بـ«التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار»[1].

---

(١) نشرته سنة ١٤٢٤هـ في «بيت الأفكار».

ونحن اليوم بأشد الحاجة لمثل هذهِ الموضوعات، فقد اكتنفت حياتنا حياة المسلم التعقيد والزخرف والبهرج في كل جوانب الحياة، وتركت المسلم في زحمة المتطلبات والحوائج؛ لذا فإنّ الخطة التربوية للنهوض بالنشئ المسلم والاستمرار بالصحوة يحتاج إلى التذكير بالنار والموت وإدراج ذلك ضمن مناهجها كي يستشعر الداعية الواعي حجم هذهِ الحياة الدنيا وتفاهتها فتتخلص نفسه من الإخلاد إلى الأرض وتنطلق في البذل والعطاء، وقد يجعل هذا الخوف الداعية يقعد منزوياً هارباً من الحياة -كما فعل بعض المنتسبين للتصوف- بل لا بدّ أن يحمله هذا الخوف والحزن إلى العمل أكثر وأكثر، وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «..ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة، نُهي عنه، وإلا كان حسب صاحبه رفع الإثم عنه..»[١] هذا الخوف المزعج هو الذي نريد.

أسأل الله أن يبارك هذا العمل ويتقبله بعظيم منّه وكرمه، وأن يغمرنا بجزيل إنعامه وكثير عطائه، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المحقق

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٧).

حياة المؤلف:

هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، أي إنه عربي النسب نزحت عائلته إلى بخارى ثم إلى مدينة (ملتان) وهي الآن ولاية بنجاب بباكستان.

ولد سنة (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م) في مدينة (بانس بريلي) في الولاية الشمالية للهند، ورحلت به أمه إلى مدينة (قنوج) موطن والده. وفقد والده وعمره (٦ سنوات) وتولّت والدته رعايته وتعليمه، وكانت أمه نِعمَ الأُم فلم تدعه منذ سنه السابعة أن يصلي في بيته بل كانت توضئه وتبعثه إلى المسجد، استمر ونشأ في مدينة قنوج إلى أن بلغ أشدّه وقرأ علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق على أخيه (أحمد حسن).

ورحل إلى مدينة (فرخ آباد) قرب (قنوج) فدرس على عدّة شيوخ بشكل غير نظامي وفي سنة (١٢٦٩هـ) سافر إلى مدينة (دلهي) للاستفادة من علماءها ودرس هناك كل العلوم وقرأ الفقه على علماء المذهب الحنفي، وبدأ هناك بتأليف بعض الرسائل وهو في الواحد والعشرين من عمره، وحصل على عدّة إجازات.

عرف العلاّمة صديق حسن خان بذكائه وتفوقه على أقرانه والشيخ صديق حسن خان نشأ سلفي المذهب والمعتقد، متبعاً غير مقلّد، بعيداً عن الجمود والتعصب التي سيطرت على أهل عصره.

عاد الشيخ إلى أهله بعد بلوغه إحدى وعشرين سنة ليحمل أعباء

أسرته إلى مدينة (قنوج) ثم رحل طلباً للرزق إلى مدينة (بهوفال) سنة (١٢٧١هـ) وهي مدينة معروفة بعلمائها، ذهب إلى هذهِ المدينة وحاول الحصول على وظيفة وحصل وذلك في عهد ملكته (سكندره جهان بيغم) ثم عزل عن وظيفته نتيجة مناقشة فقهية، فعاد من مدينة (بهوفال) سنة (١٢٧٣هـ) إلى بلده وغادر إلى (كانغور). واشتعلت ثورة كبيرة وحركة جهاد ضد الإنكليز سنة (١٨٥٧م) في جميع أرجاء الهند ومرّت بالبلاد حالات قحط، هدأت الأحوال وعاد مرّة ثانية إلى (بهوفال) ولكن الحسّاد وشو به وطردوه من المدينة وقصد مدينة (تونك) وأكرمه أميرها محمد وزيرخان، ولكن المدينة لم تناسبه اجتماعياً.

فسافر سنة (١٢٧٦هـ) مرّة ثالثة إلى (بهوفال) وهذهِ المرة تم إكرامه، وقد ماتت الملكة (سكندره بيغم) ووليت ابنتها (جهان بيغم) سنة (١٢٨٥هـ).

وقد أعجب الشيخ جمال الدين مدير شؤون المملكة في القنوجي فعقد قران ابنتيه (ذكية بيغم) عليه سنة (١٢٧٧هـ)، فجلب جميع عائلته إلى (بهوفال).

في هذهِ السنة حجّ صدّيق حسن خان ورحلته للحج كانت تمر باليمن وهناك حصل على رسائل للصنعاني والشوكاني والتقى بعلمائها.

ومرّ بجدة ثم بمكة والمدينة وفي كل مدينة يشتري كتباً قيمة في الحديث ثم رجع من رحلته سنة (١٢٨٦هـ)، وهذهِ هي رحلته التي ألّف كتابه «رحلة الصديق إلى البيت العتيق».

بعد الحج عُيِّنَ وزيراً للتعليم ومن هنا انطلق في نشر الكتاب والسنة واحتاجت ملكة (بهوفال) لمن يعينها في شؤون مملكتها فاختارت صديق زوجاً لها. هذا الزواج الذي غيّر مجرى حياة صديق حسن خان حيث أصبحت منزلته عالية ولُقِّب بـ(عالي جاه) يعني (أمير الملك) واضطرت الحكومة الإنكليزية لتعظيمه، وبدأ صديق ينفذ كل مخططاته الدينية.

أحسَّ الإنكليز بخطر صدّيق حسن خان لأنه كان يحث على جهادهم وكان ينشر العقيدة الحقّة فاتّهم بنشر الوهابية والتحريض على الجهاد وأنه كان يلزم الملكة الحجاب. فعملوا له مؤامرات لعزله ونجحوا سنة (١٣٠٥هـ) وفي سنة (١٣٠٧ في ٦/٢٩) انتقل إلى رحمة الله تعالى وصلى عليه خلق كثير. رحم الله الإمام صديق حسن خان.

جهوده العلمية والدينية:

- **مساهمته في نشر الكتب ومن ثم توزيعها:**

بذلك الشيخ صديق حسن خان أموالاً طائلة في سبيل نشر كتب السُنّة فنشر من الكتب:

١- فتح الباري لابن حجر العسقلاني فاشتراه بمبالغ طائلة وطبعه ووزّعه مجاناً، وله نواب عدّة في العالم الإسلامي منهم (أحمد البابي الحلبي) بمصر.

٢- نيل الأوطار للشوكاني، وكان له وكلاء يوزع من خلالهم كتب الحق منهم في:

- القاهرة - الاسكندرية في مصر.
- جدة - مكة.
- بيروت.
- عدن في اليمن.
- بغداد - البصرة.
- تونس.
- بومباي - لاهور - بنجاب - دلهي - شمال الهند (الهند).
- بهوفال.

- **كان يشجع العلماء وطلاب العلم:**

فكان يغدق الجوائز لحفظة الحديث، ولمن يؤلف كتباً قيّمة.

- **تأسيس المجلس العلمي:**

أسس مجلساً علمياً فيه الفحول وكبار أهل العلم في الهند وربطهم بعلماء الدول العربية وعيّن مفتشين على المدارس والمعاهد.

ولم يكن هذا المجلس شكلياً بل شغله كبار العلماء منهم محمد بشير السهسواني (١٢٥٤-١٣٢٦هـ) صاحب «صيانة الإنسان عن وسوسة الدحلان»[1] وهو من كبار علماء الحديث والعقيدة في زمانه.

---

(١) حققته أسأل الله أن يسهّل نشره.

• المدارس والمعاهد:

بعد تعيينه وزيراً للتعليم اعتنى بالمدارس والمعـاهد الدينيـة وكثرهـا ولم يَكن اهتمامه بالمعاهد الدينية بل هناك معاهد صناعية مع بقاء المواد الدينيـة في كل المدارس.

• المكتبات:

أنشأ صديق حسن مكاتب كثـيرة ولكـن منـها مكتبـات ميزهـا بكـثرة الكتب حيث وضع فيها (١٢,٠٠٠) كتاب وهذا العدد في ذلك الوقت كبـير لقلّة الطباعة، وهذهِ المكتبات حوت كل أنواع الفنون.

• المطابع:

يعتبر الشيخ صديق من أوائل من أنشأ مطابع في العالم الإسلامي فأنشأ أربع مطـابع رئيسـية خصـص واحـدة لمؤلفاتـه. وقـد طبـع آلآف الكتـب السلفية.

• إصلاحات عامة:

نشأ صديق حسن خان في وقت عمّـت الجهالـة بـين النـاس، كمـا بـدأ الانحلال الخلقي والمجون وشرب الخمور والرقـص، لذلـك علـى كـل دعـاة الإصلاح مهمة ليست باليسيرة وما فعله صديق هو الآتي:

– **مجلس الشورى:** أسس في مملكته مجلسـاً للشـورى جمـع فيـه العلمـاء وأرباب السياسة والخبرة، وكانت جهود الإنكلـيز واضحـة في محاربـة هـذا المجلس.

- **المحكمة القضائية ودار الافتاء:** وسع دائرة القضاء الذي كان منصباً في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث، كما غيّر نوعية الفتوى وجعلها وفق الكتاب والسنة لا المذاهب.

- **الحسبة:** وكانت مهمة الحسبة متابعة المساجد من دخول البدع فيها ومتابعة الشارع من رذائل الأخلاق.

- **القضاء على كثير من المفاسد:** مثل إدمان الخمر والرقص والغناء والقمار الذي أصبح علناً جهاراً نهاراً وألغى دور البغاء وأبدل البغايا بأعمال أخرى.

- **القضاء على الربا:** ألقى كثيراً من الأعمال الربوية والمعاملات وأبدلها بمعاملات شرعية.

- تغيير عادات اجتماعية: مثل عدم الزواج من الأرامل لأنه كان عيباً، كما قلل من أسعار المهور، كما ألزم النساء الحجاب، كما رفع كثير من المظالم وألفى الضرائب، وحارب الرشوة والفساد الإداري.

هذه هي إصلاحات هذا المجدد الفاضل صديق حسن خان.

مكانته العلمية:

أثنى عليه جل علماء عصره خاصة من عرف بصدق المعتقد فقد أثنى عليه علاّمة العراق نعمان الألوسي، وعلاّمة نجد محمد بن عبدالله بن حميد والشيخ حمد بن عتيق، والعلاّمة عبد الحي الكتاني، ومحمد منير الدمشقي صاحب المطبعة المنيرية، وغيرهم.

مؤلفاته:

ألّف العلاّمة صديق حسن خان مؤلفاتٍ عديدة في جميع الفنون الإسلاميّة وباللغات العربية والأردية والفارسية.

وقد ألّف في التفسير والحديث والعقيدة والفقه واللغة والأدب والأخلاق والمواعظ والمنطق والتراجم وكتب عامة مثل ما يسمى الموسوعات.

وقد سردت مؤلفاته ثم وضعت (ط) لكل ما تبين لي شخصياً أنه مطبوع:

مؤلفاته العربية:

- **التفسير:**

١- فتح البيان في مقاصدالقرآن. (ط)

٢- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام. (ط)

- **الحديث:**

١- الإدراك بتخريج أحاديث رد الإشراك. (ط)

٢- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة. (ط)

٣- أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة.

٤- أربعون حديثاً متواتراً.

٥- إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة.

٦- بلوغ السول من أقضية الرسول.

٧- الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون.

٨- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة. (ط)

٩- الحطة في ذكر الصحاح الستة. (ط)

١٠- الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة.

١١- السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج.

١٢- الروض البسّام من ترجمة بلوغ المرام.

١٣- العبرة لما جاء في الغزو والشهادة والهجرة. (ط)

١٤- عون الباري لحل أدلّة البخاري. (ط)

١٥- نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار. (ط)

١٦- فتح العلاّم شرح بلوغ المرام. (ط)

• **العقيدة:**

١- الانتقاد الرجيح بشرح الاعتقاد الصحيح. (ط)

٢- الجوائز والصلات.

٣- حضرات التجلي من نفحات التحلي والتجلي. (ط)

٤- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان. (ط)

٥- الدين الخالص. (ط)

٦- الغنة ببشارة الجنة لأهل السنّة.

٧- قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل. (ط)

٨- قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر. (ط)

٩- مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام. (ط)

١٠- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، وهو كتابنا هذا.

• **فقه وأصول:**

١- الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد.

٢- الجنة في الأسوة الحسنة بالسيئة.

٣- حصول المأمول من علم الأصول.

٤- ذخر المجتبى من آداب المفتي.

٥- رحلة الصديق إلى البيت العتيق. (ط)

٦- الروضة الندية في شرح الدرر البهية. (ط)

٧- الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو أولى. (ط)

٨- ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي.

٩- قضاء الأرب من تحقيق مسألة النسب.

• **اللغة والأدب:**

١- الإنشاء العربي.

٢- البلغة في أصول اللغة.

٣- ربيع الأدب.

٤- العلم الخفّاق من علم الاشتقاق. (ط)

٥- غصن البان المورق بمحسنات البيان.

٦- الكلمة العنبرية في مدح خير البرية.

٧- لف القماط على تصحيح ما استعملته العامة من المعرب والمولد والدخيل والأغلاط.

٨- نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان. (ط)

• **تاريخ وتراجم:**

١- إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت.

٢- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. (ط)

٣- رياض الجنة في تراجم أهل السنّة.

٤- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان. (ط)

٥- مراتع الغزلان في تذكار أدبار الزمان.

• **الأخلاق والمواعظ:**

١- تخريج الوصايا من خبايا الزوايا.

٢- الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة. (ط)

• **المنطق:**

١- التذهيب شرح التهذيب.

• **الموسوعات:**

١- أبجد العلوم. (ط)

مؤلفاته الأردية والفارسية:

• **التفسير:**

١- إفادة الشيوخ بقدر الناسخ والمنسوخ.

٢- الإكسير في أصول التفسير.

٣- ترجمان القرآن بلطائف البيان. (ط)

٤- تذكير الكل بتفسير الفاتحة وأربع قل.

٥- فصل الخطاب في فضل الكتاب.

• **الحديث:**

١- اتباع الحسنة في جملة أيام السنة.

٢- بغية القاري في ثلاثيات البخاري.

٣- تقوية الأيقان بشرح حديث حلاوة الإيمان. (ط)

٤- تميمة الصبي في ترجمة أحاديث النبي.

٥- توفيق الباري لترجمة الأدب المفرد للبخاري.

٦- جامع السعادات ترجمة المنبهات لابن حجر.

٧- خير القرين ترجمة الأربعين.

٨- سلسلة العسجد في مشائخ السند.

٩- ضوء الشمس من حديث «بني الإسلام على خمس».

١٠- عين اليقين ترجمة الأربعين للغزالي.

١١- غنية القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري.

١٢- كشف الكربة عن أهل الغربة.

١٣- كشف اللثام عن غربة الإسلام.

١٤- محاسن الإسلام.

١٥- محو الحوبة بالاستغفار والتوبة.

١٦- مسك الختام شرح بلوغ المرام.

١٧- منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول.

١٨- موائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد. (ط)

١٩- النهج المقبول من شرائع الرسول.

٢٠- نيل الأماني.

• **العقيدة:**

١- الاحتواء على مسألة الاستواء.

٢- إخلاد الفؤاد إلى توحيد رب العباد.

٣- إخلاص التوحيد للحميد المجيد.

٤- اقتراب الساعة.

٥- الانفكاك عن مراسم الإشراك.

٦- إيقاظ الرقود بأهوال اليوم الموعود.

٧- بذل الحياة لحسن الممات.

٨- بذل المنفعة لإيضاح الأركان الأربعة.

٩- بغية الرائد في شرح العقائد.

١٠- ترجمة شرعة الإسلام.

١١- تعليم الإيمان.

١٢- التفكيك عن أنحاء التشريك.

١٣- ثمار التنكيت في شرح أبيات التثبيت. (ط).

١٤- حجج الكرامة في آثار القيامة.

١٥- خلاصة المعتقد. (ط)

١٦- الدر المنضود في ذكر المهدي الموعود.

١٧- دعاية الإيمان إلى توحيد الرحمن. (ط)

١٨- دعوة الحق.

١٩- دعوة الداع إلى إيثار الاتباع عن الابتداع.

٢٠- الروض الخضيب من تزكية القلب المنيب. (ط)

٢١- زيادة الإيمان بأعمال الجنان. (ط)

٢٢- عقيدة سني. (ط)

٢٣- ضالة الناشد الكئيب في شرح المنظوم المسمى بتأنيس الغريب.

٢٤- فتح الباب لعقائد أولي الألباب.

٢٥- قضية المقدور على فتنة القبور.

٢٦- قواطع البشر عن أنواع الشر.

٢٧- قول ثابت.

٢٨- قول حق.

٢٩- كلمة الحق.

٣٠- اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود.

٣١- مراد المريد في إخلاص التوحيد.

٣٢- المعتقد المعتمد.

٣٣- ملاك السعادة في إفراد الله تعالى بالعبادة. (ط)

٣٤- منهاج العبيد في معراج التوحيد.

٣٥- النصح السديد لوجوب التوحيد.

٣٦- النذير العريان من دركات النيران.

٣٧- هادي القلب السليم إلى درجات جنات النعيم. (ط)

• **فقه:**

١- أسئلة أجوبة بشاور.

٢- إيضاح المحجة للعمرة والحجة.

٣- بدور الأهلة من ربط المسائل بالأدلة.

٤- البنيان المرصوص من إيجاز الفقه المنصوص.

٥- تحفة الصائمين.

٦- تعليم الحج.

٧- تعليم الزكاة.

٨- تعليم الصلاة.

٩- تعليم الصيام.

١٠- حل الأسئلة المشكلة.

١١- حل سؤالات مشكلة.

١٢- دليل الطالب على أرجح المطالب.

١٣- روز مرة إسلام.

١٤- رفع الالتباس عن مسائل اللباس.

١٥- سبيل الرشاد لما يحتاج إليه العباد.

١٦- سعة المجال إلى ما يحل من الأرزاق والأموال.

١٧- السيف المسلول على من سبّ الرسول.

١٨- صلاح ذات البين ببيان ما للزوجين.

١٩- طراز الخمرة في فضائل العمرة.

٢٠- عرف الجادي من جنان هدى الهادي.

٢١- فتاوى إمام المتقين.

٢٢- فتح المغيث بفقه الحديث.

٢٣- فلاح البرايا في إصلاح الراعي والرعايا.

٢٤- كشف الالتباس عما سوس به الخناس.

٢٥- المقتصر المختصر في حسن الظن للمحتضر.

٢٦- هداية السائل إلى أدلة المسائل.

٢٧- وسيلة النجاة لأداء الصلاة والصوم والحج والزكاة.

• **اللغة والأدب:**

١- آمد نامة.

٢- برد الأكباد شرح قصيدة بانت سعاد.

٣- تحفة فقير در ذكر قهوة وشاي.

٤- تصريف الرياح.

٥- ديوان كل رعنا.

٦- الشمامة العنبرية في مولد خير البرية. (ط)

٧- صافية شرح كافية؟

٨- قسطاط الأذهان في شرح الميزان.

٩- معجب نحو المغرب.

١٠- المغنم البارد للصادر والوارد.

١١- المنهل العذب الصافي.

١٢- نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب.

- **تاريخ وتراجم:**

١- إبقاء المنن بإلقاء المحن.

٢- إتحاف النبلاء بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين.

٣- بزم سخن.

٤- بلوغ العلى بمعرفة المحلى.

٥- ترجمان وهابية.

٦- تشريف البشر بذكر الأئمة الإثني عشر.

٧- تقصار جيود الأحرار من تذكار جنود الأبرار.

٨- تكريم المؤمنين بتقديم مناقب الخلفاء الراشدين.

٩- جلب المنفعة في الذب عن الأئمة المجتهدين الأربعة.

١٠- حديث الغاشية.

١١- رفعوا الخرقة بشرف الحرفة.

١٢- سر من رأى.

١٣- شمع انجمن.

١٤- صبح كلشن.

١٥- طلائع المقدور من مطالع الدهور.

١٦- طور كليم.

١٧- الفرع النامي من أصل السامي.

١٨- كشف الغمة عن افتراق الأمّة.

١٩- منتخب نفح العود.

٢٠- نصب الذريعة إلى تعديد علوم الشريعة. (ط)

٢١- نكارستان سخن.

• **أخلاق وآداب:**

١- اختيار السعادة بإيثار العلم على العبادة.

٢- إدامة السكر بإقامة الصبر والشكر.

٣- إسعاد العباد بحقوق الوالدين والأولاد.

٤- إعلام البشر بوجوه الخير والشر.

٥- إيقاظ النيام بصلة الأرحام.

٦- برك سبز.

٧- بشارة الفسّاق.

٨- بشنويد.

٩- تبشير العاصي بتكفير المعاصي.

١٠- تحريم الخمر والزنا واللواط والمعازف والعشق.

١١- تحصيل الكمال بالخصال الموجبة للظلال.

١٢- تسلية المصاب.

١٣- تطهير الثوب بقبول التوب.

١٤- تعليم الذكر والدعاء.

١٥- تفريج الكروب بالتوبة عن الذنوب.

١٦- توزيع العباد إلى الدرجات في يوم المعاد.

١٧- توزيع المعاصي والطبقات إلى إنماء الدركات والدرجات.

١٨- توضيح المعاصي.

١٩- حثّ الإنسان على ما يوجب دخول الجنان.

٢٠- خلق الإنسان.

٢١- خيرة الخيرة.

٢٢- الداء والدواء.

٢٣- دواء القلب القاسي بتذكير الموت للناسي.

٢٤- رسالة منجيات ومهلكات.

٢٥- رياض المرتاض.

٢٦- سائق العباد.

٢٧- صدق اللجا إلى ذكر الخوف والرجا.

٢٨- عاقبة المتقين.

٢٩- عشرة كاملة.

٣٠- عمارة الأوقاف بوظائف العبادات.

٣١- غراس الجنة في الأذكار والأدعية.

٣٢- فتح الخلاق بلطائف المنن والأخلاق.

٣٣- فتنة الإنسان من تلقاء أبناء الزمان.

٣٤- قطع الأوصال.

٣٥- قوارع الإنسان عن اتباع خطوات الشيطان.

٣٦- كشف الستر عن وجهة الذكر والفكر.

٣٧- اللتيا واللتي في ذم النساء.

٣٨- لسان العرفان الناطق بما يهلك الإنسان.

٣٩- مقالات الإحسان.

٤٠- المقالة الفصيحة في الوصية والنصيحة. (ط)

٤١- مكارم الأخلاق.

٤٢- منتخب زاد المتقين.

٤٣- وصية نامه أبو الوفا. (ط)

٤٤- ضيافة الإخوان.

• **المنطق:**

١- هدية شاهجهانيه حل مرقات ميزانيه.

• **السياسة:**

١- حسن المساعي إلى إصلاح الرعية والراعي.

• **الموسوعات:**

١- حظيرة القدس وذخيرة الأنس. (ط)

وفي نهاية هذهِ الترجمة المختصرة أُحب أن أذكر أنه ليس لي أي فضل في هذه الترجمة وإنما أخذتها من كتاب الدكتور الفاضل (أختر جمال لقمان) «السيد صديق حسن القنوجي آراؤه الاعتقاديّة وموقفه من عقيدة السلف» المطبوع في دار الهجرة سنة (١٤١٧هـ).

الطعن في صديق حسن خان:

طعن في صديق حسن خان فريقان: أجانب ومسلمون.

أما الأجانب فما جاء على لسان الكولونيل أيدورد فنديك في كتابه «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» وقد طبع سنة (١٣٣٣هـ) حيث اتهمه:

- أنه من عوام الناس وليس من العلماء.

- وأنه كان يكتب له من قبل علماء الهند.

- وأنه كان يختار الكتب القديمة التي لم يكن لها سوى نسخة واحدة فيغير عنوانها.

والجواب على هذا هو:

- أن السيد صديق حسن خان ليس من عوام الناس قطعاً وقد شهد له علماء عصره.

- كل مؤلفاته تحمل أسلوباً واحداً لذا يصعب مع تعدد العلماء أن يتوحد الأسلوب في الكتابة.

- في زمن السيد صديق حسن خان يصعب معرفة أن للكتاب نسخة واحدة سيما وأن كتب المخطوطات لم تكن معروفة مثل أيامنا هذه.

أما المسلمون فقد طعن فيه المتعصبون والجامدون والمذهبيون، وأشهر ما طعنوا فيه أنه أخذ من غيره كتباً ونسبها لنفسه، ولعل عمدتهم بذلك كتاب «الروضة الندية شرح الدرر البهية» و«الدرر البهية» للإمام الشوكاني وإنه لم يكن شرحاً بل كان نفس الكتاب.

وللجواب على هذهِ الشبهة أقول:

إن السيد صدّيق حسن خان كان واضحاً في مقدمته حيث اعتمد الكتاب كأصل وما كان موافقاً له تركه على أصل الشوكاني وأنه أضاف أشياء يسيرة. يبقى الانتقاد: لماذا نسبه لنفسه؟ فلعلّ هذا موطن انتقاده أما أن يقال انه سرقه؟ فلا؛ لأنه صرّح صراحة بأن الأصل للشوكاني وقد قام بشرحه بيد أنّ شرحه قليلاً جداً.

ولعل هناك دافعاً آخر: أنه كان همّه نشر الكتاب الجيد والسليم مع بعض التعديل وبغض النظر عن نسبة الاقتباس من الكتاب، وقد كان صريحًا بذكر مَنْ يأخذ منه.

وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، والرجل له أيادٍ واضحة بنشر العقيدة الحقّة؛ ولذلك حُنِقَ عليه وحاولوا تشويه سمعته.

الطبعات السابقة للكتاب:

كتاب «يقظة أولي الاعتبار»، طبع أول مرّة في بلاد الهند.

وطبعة أخرى طبعت في مصر في مطبعة الإمام.

ولدي طبعة أخرى بتقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقّا. ومراجعة الشيخ محمود مصطفى بدوي. وقد استندت على الطبعتين السابقتين إضافة إلى مخطوط في دار الكتب المصرية ونشرته مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر بمصر. سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) وكان تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا هو ضبط النص مع بعض التعليقات وبعض الاعتراضات.

ثم طبع طبعة أخرى بتحقيق أسامة محمد عبدالعظيم حمزة في دار الفتح بالقاهرة سنة (١٣٩٩هـ).

وكل هذهِ النسخ لم تحقق الكتاب تحقيقاً علمياً، فلا يزال الكتاب مليء بالأخطاء، ولم يخدم بأي تخريج أو عزو، وهو كتاب وصف للنار وهذا الأمر لا يتأتى إلا بالأحاديث والآثار، وقد اختلطت الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والباطلة، فكان لا بدّ من تحقيق حديثي محكوم بوضوح على الأحاديث، وهذا وإن كتابنا هذا إنما هو مجموعة من فصول أغلبها مأخوذ من كتاب «التذكرة» للقرطبي وقد أشار لذلك الشيخ صديق حسن خان بوضوح، لذلك جعلت كتاب «التذكرة» كنسخة أخرى لتحقيق هذا الكتاب.

عملي في هذا الكتاب:

• أما في خدمة النص فقد استعنت بكتاب «التذكرة» الذي أكثر من النقل عنه العلاّمة صديق حسن خان، وكل كتب التراجم والرواية والمصادر الأخرى.

• أما ما ورد في النص من أحاديث وآثار فقد التزمت به التالي:

أ- حققت الأحاديث الواردة في الكتاب فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به -إبقاءً لهيبة الصحيحين- وما كان في غيرهما بينت درجة صحته من ضعفه.

ب- عزوت جميع الآثار الواردة في النص.

جـ- علقت على ما أراه مناسباً.

د- عملت فهرساً للآيات والأحاديث والآثار والكتب والأشعار بالإضافة إلى الفهرس الموضوعي.

وأخيراً أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل مني عملي ويفك كربتي ويفك عن إخواني في العراق كربة الأمريكان والإنكليز وأحفاد ابن العلقمي، وينصر أهل السُّنّة والجماعة في العراق، كما لا يسعني في خاتمة هذهِ المقدمة إلا أن أشكر ولدي معاذ الذي بذل جهداً لا يستهان به في تحقيق الكتاب، كما وأشكر ابنتنا فاطمة التي ساهمت بفهرسة هذا السفر، وأشكر جميع مَنْ شارك بصفّه وتصليحه وطباعته فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أبو معاذ

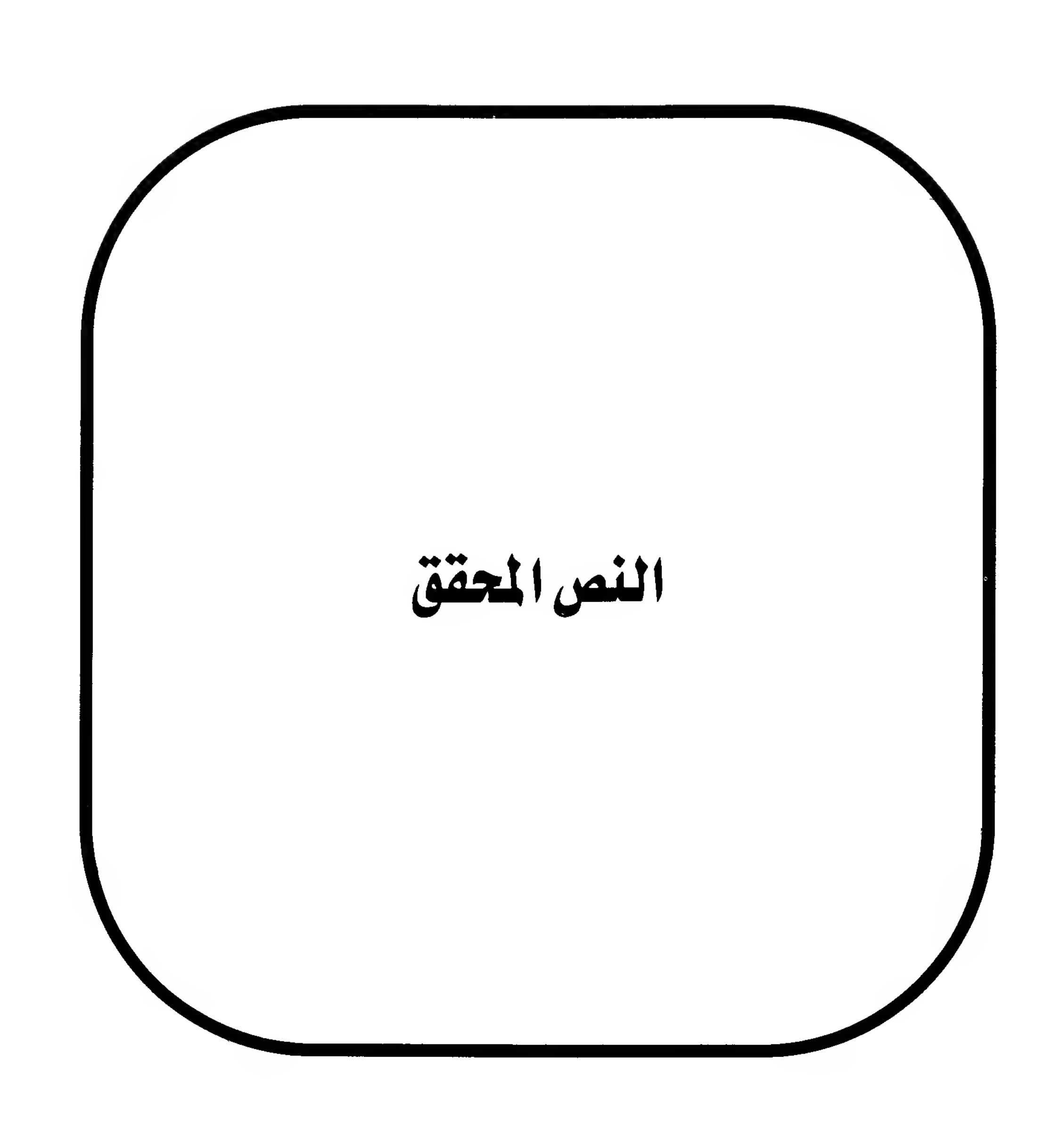
إياد بن عبداللطيف بن إبراهيم

القيسي البغدادي

الموافق ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

عمان - الأردن





النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما منح من الهدى، وجعل السنة المطهّرة قدوة لمن يقتدى؛ الذي خلق فأحيا، وحكم على خلقه بالموت والفنا، والبعث إلى دار الجزاء والفصل والقضا، لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال في كتابه جل وعلا ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه:٧٤-٧٦]، والصلاة والسلام على خير من أفيضت عليه بحار المكارم والندى، ولاحت عليه لوائح الصدق والصفا، واهتدى بما أنزل عليه من ربه وإليه أمته هدى، وأنقذها من شرك الردى، ولم يتركها سدى، فمن أطاعه ووالاه فقد رشد ونجا، ومن عصا وناوأه فقد ضلّ وغوى، وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة وسلاماً دائمين على طول المدى.

وبعد: فهذا كتاب في أحوال النار وأصحابها، وأهوال الجحيم وأربابها نسجته على منوال كتابي في أحوال الجنة وأهاليها وحقائق نعمها ومواليها، والباعث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبي بكر بن القيم بوّأه الله في دار السلام، ألّف كتاباً جامعاً لم يسبق إليه في ما جاء في نعيم الجنان ومدارج الرضوان والغفران، وهو باب من أبواب الترغيب، وقد سبقت رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك في صحاح الأحاديث، ولم أقف له ولا لغيره على كتاب مستقل في ذكر

النار[1]، وأهوال الجحيم وما يقابل الراحـة والعيـش الآخـر في دار النعيـم، وهذا باب من أبواب الترهيب، وحاجة المسلم إليـه أشـدّ مـن الحاجـة إلى الأول؛ لأن الإيمان بين الخوف والرجاء، والمرء بين الشدة والرخاء، والخـوف يفعل في الخائف ما لا يفعل الرجاء في الراجي، والخشية تمـيّز تمييزاً كافياً وافياً بين الهـالك والنـاجي، وأن ديـن الإسـلام ورد بالمـهلكات كمـا جـاء بالمنجيات، وأن النبي ﷺ رغّب وحذّر وبشّر وأنـذر، فـهو المخـبر الصـادق بكلا الأمرين إخباراً لا يخفـى علـى ذي عينـين، ولكـن الشيطـان الرجيـم غرهم بالغفران والإحسـان، وكادتـهم النفـس الأمـارة بالسـوء ووعدتـهم بالرضوان والجنان، ودخل عليهم إبليس من باب الرجا حتى أضلـهم عـن طريق الهدى، فقالوا سيُغفر لنا كما قال من قبلهم من الأمم، ولم يعلموا أن بطش ربّهم لشديد الألم، وأن الـدار الآخـرة منقسـمة إلى قسـمين: ريـاض الجنة وحفر النـار، والعبـد بـين مخـافتين إمـا أن يصـير إلى النعيـم بفضلـه سبحانه، وإما أن يُصار به عدلاً منه إلى دار البوار، وكل من قنع بالرجاء ولم يلم بالخوف، لم يعلم بعاقبة أمره، ولم يعرف نفعه مـن ضـره، وإنمـا المؤمـن الناجي من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً، وأقلـع نفسـه في هذه الدار عما يوبقه ويهلكه عذباً كان أو مالحاً.

وفي حديث شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكيّـس مـن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبـع نفسـه هواهـا وتمنّـى علـى**

---

(١) فاته كتاب ابن رجب «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» وقـد حققتـه وطبـع في بيت الأفكار الدولية.

الله»[١] قال في «مجالس الأبرار»: هذا الحديث من حسان المصابيح. انتهى.

وما أحسن ما قال بعض العارفين:

عجبت من شيخي ومن زهده وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب في فضة ويسرق الفضة إن نالها

ووعد المغفرة في كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً، فمن أقر بلسانه أن الآخرة خير وأبقى، ثم ترك العمل واشتغل بالمعاصي فهو من المغرورين بالدنيا والمسرورين بها والمحبين لها، والكارهين للموت خيفة فوات لذتها لا خيفة فوات لذات الآخرة، وحول عقابها، فهؤلاء هم الذين غرتهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

وأما الذين غرهم بالله الغرور فهم الذين يعملون الأعمال ويشتغلون بالمنكرات ويقولون أن الله رحيم، نرجو رحمته، وكريم نتمنى مغفرته، وهذا التمني هو الغرور الذي غير الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثيراً من الناس، وقد شرح الله الرجاء بقوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨]، وقيل للحسن: قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال: هيهات، هيهات، هلكت أمانيهم يتردّون فيها: من رجا شيئاً طلبه، ومن خالف شيئاً هرب منه[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجة (٤٢٦٠)، والإمام أحمد (١٢٤/٤)، والبزار (٣٤٨٩) والحديث ضعيف.

(٢) هذا الأثر مروي عن رجل من التابعين كما في الزهد لأحمد (٢٨٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٣٠)، ورواه ابن المبارك عن مسلم بن يسار (٣٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩٢/٢) أما الحسن فلم أجده.

وكما لا ينبت في الدنيا زرع إلا بالحرث كذلك لا يحصل في الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة، وأن الله تعالى كما كان غافر الذنوب وقابل التوبة فهو شديد العقاب أيضاً. وأنه مع كونه كريماً رحيماً خلّد الكفار في النار أبد الآباد، مع أن كفرهم لا يضرّه بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على عباده في الدنيا مع كونه رحيماً كريماً قادراً على إزالتها.

فمن كانت سنته في عباده كذلك كيف يغتر به العبد ولا يخافه، وقد خوف عباده.

ورجاء أكثر الخلق في هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم للسعي للآخرة، وهم لا يعلمون أنه غرور وليس برجاء، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلب الطاعة على أولها.

قال الغزالي: (قد كان للناس في الزمان الأول يواظبون على الطاعات والعبادات، ويبالغون في الاحتراز عن الشبهات والشهوات، ومع ذلك كانوا يخافون على أنفسهم ويبكون في الخلوات، وأما الآن فنرى الخلق آمنين فرحين غير خائفين مع إصرارهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله، ويزعمون أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله، وراجون لعفوه ومغفرته، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة. وأي شيء من معاصي العباد في بحار مغفرته؟ ويسمون تمنيهم واغترارهم رجاء ويقولون أن الرجا محمود في الدين، فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم

الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والسلف الصالح) انتهى.

هذا وكان يخطر في خلدي قديماً منذ ألفت كتاب «**مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام**»[1] أن أؤلف كتاباً في أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم حزنها وسهّلها، مقتصراً في ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأدلة السنة المطهرة البيضاء. فلم يتفق لي هذا المراد لعوائق عاقتني وضاقت بها على الغبراء؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً مني أنه لم يسبق إلى مثل هذا التأليف قبلي أحد من الأعلام، ولو كنت وقفت على مثل هذا الجمع لأحد منهم لم أكلف نفسي لجمع هذا الكتاب الموعود، ولم أدخلها في هذه العقبة الكئود، ولكن الله يوفق بما شاء من عباده، وله في أيام دهرهم نفحات ألا فليتعرضوا لها في بلاده. وسميت هذه «**يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار**». ورتّبته على مقدمة وأبواب وخاتمة. أجارنا الله تعالى عن النار الحاطمة.

---

(١) طبع وانظر المقدمة.



المقدمة

في بيان أن الشرائع متفقة

على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار

اعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة في أول التوراة عند الكلام على ابتداء خلق العالم. ولفظها: «**وغرس الإله جنة في عدن شرقاً. ووضع هناك آدم الذي خلقه**»[١] ا.هـ

ثم ذكر أن منها خرج نهر. وتفرع عنه: فيشون وحداقل وجيحون والفرات[٢].

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. وصح عن النبي ﷺ: «**أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها**»، كما في دواوين الإسلام وغيرها. واعترف بها رأس زنادقة اليهود: موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي في تأليفه، المسمى «المشنا» في الفقه[٣]. وفي كتاب اللغات في حرف العين قال: ومعنى اسم عدن: التلذّذ والتنعم. ثم قال: إن تلك هي جنات النعيم، وفردوس السعادة، والصالحون باقون فيها ليستلذوا من نور الله. قال النبي أشعياء في حقيقة ذلك التلذذ «**هو ما لا عين تقدر أن تراه**»[٤] ا.هـ

---

(١) الفقرة السابقة من الإصحاح الثاني من سفر التكوين.

(٢) الفقرة العاشرة من الإصحاح الثاني من سفر التكوين.

(٣) «**المشناة**» هو المتن ويقابله «**الجمارا**» أي التفسير للمتن.

(٤) هذا كلام استشهد بولس في رسالته الأولى إلى أهل كونثوس في الفقرة التاسعة من الإصحاح الثاني.

والتوراة أيضاً صرّحت باسم النار، ولفظها «سول واش» قال علماء اليهود ومعنى اللفظين جهنم. وفيها غير ذلك من الآيات كثير.

كما في الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين (الأحبار) ولفظه: «**أحكامي تعلمون، وفرائضي تحفظون. لتسلكوا فيها، أنا الرب إلهكم. فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها. أنا الرب**»[1] ا.هـ ولا حياة دائمة في الدنيا بل في الآخرة.

وفي الإصحاح الفصل الخامس من سفر الأمثال لسليمان عليه السلام «**ويجعلهم بعد الموت إلى الجحيم**»[2] ا.هـ

وفي الإصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعياء ما لفظه: «**تحيا أمواتك. تقوم الجثث**»[3] ا.هـ

وفي سفر دانيال ما لفظه: «**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار، والازدراء الأبدي**»[4] ا.هـ

=وأما قوله (قال اشعياء) فهو في الإصحاح الرابع والستين، الفقرة الرابعة أو إلى المكتوب في سفر أشعياء في الإصحاح الخامس والستين، الفقرة السابعة عشر.

(١) هو في سفر اللاويين ويسمى سفر الأحبار، الفقرة الرابعة والخامسة من الإصحاح الثامن عشر.

(٢) الإصحاح الخامس من سفر الأمثال، الفقرة الحادية عشرة، والفقرة الثانية والعشرون.

(٣) هذا النص في الإصحاح السادس والعشرون في سفر أشعياء الفقرة التاسعة عشر.

وهذه الفقرة جاءت في التوراة في الأحياء المعنوي، ومعناها (أن اليهود سيستيقظون وقت مجيء بني الإسلام) لقوله تعالى في القرآن: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

(٤) الفقرة الثانية من الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال.

وأما الزبور ففيه نصوص كثيرة، في التصريح بذكر النار، جاء في المزمور التاسع والأربعين ما لفظه: «**مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعاهم. ويسودهم المستقيمون غداة. وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم. إنما الله يفدى نفسي، من يد الهاوية. لأنه يأخذني**»(١) ا.هـ

وفي المزمور الخامس والخمسين؛ «**ليبغتهم الموت، لينحدروا إلى الهاوية أحياء. لأن في مساكنهم، في وسطهم شروراً**»(٢) ا.هـ

وفي المزمور السادس ما لفظه: «**وأنت يا رب فحتى متى، عد يا رب: نجّ نفسي. خلصني من أجل رحمتك؛ لأنه ليس في الموت ذكرك، في الهاوية من يحمدك؟**»(٣) ا.هـ

وفي المزمور التاسع: «**الشرير يعلق بعمل يديه... الأشرار يرجعون إلى الهاوية**»(٤) ا.هـ

وفي المزمور السادس عشر: «**جسدي أيضاً يسكن مطمئناً. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيكَ يرى فساداً**»(٥) ا.هـ

وفي الإنجيل ذكر الجنة والنار في مواضع كثيرة ففي الإصحاح الخامس

---

(١) الفقرتان الرابعة عشر والخامسة عشر من المزمور التاسع والأربعين حسب ترجمة البروتستانت بمصر سنة (١٩٧٠م).

(٢) الفقرة الخامسة عشر من المزمور الخامس والخمسين، ط.بروتستانت.

(٣) الفقرات الثالثة والرابعة والخامسة من المزمور السادس، ط.بروتستانت.

(٤) الفقرتان السادسة عشر والسابعة عشر من المزمور التاسع، ط.بروتستانت.

(٥) المزمور السادس عشر الفقرة التاسعة والعاشرة، ط.بروتستانت.

من الإنجيل الأول إنجيل متى «**ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنّم -إلى قوله- ولا يلقى جسدك كله في جهنّم**»[١].

وفي الإصحاح العاشر من متى: «**بل خافوا بالحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنّم**»[٢] ا.هـ وفي ذلك تصريح بحشر الأجساد.

وفي الإصحاح الثالث عشر من متّى: «**يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان**»[٣].

وفي الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه: «**وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تطفأ. حيث دورهم لا يموت والنار ولا تطفأ**»[٤].

وفي الإصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه: «**ومات الغني ودفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب**»[٥] ا.هـ

وفي الإصحاح الثامن عشر من متى: صرح بذكر دخول النار المؤبدة وبذكر دخول جهنّم[٦].

---

(١) من الفقرة الثالثة والعشرين إلى نهاية الآية الثلاثين من إنجيل متى الإصحاح الخامس.
(٢) الفقرة الثامنة والعشرين من الإصحاح العاشر من إنجيل متى.
(٣) الفقرتان واحد وأربعون واثنان وأربعون من الإصحاح الثالث عشر من متى.
(٤) الفقرات: ثلاثة وأربعون إلى ستة وأربعين من الإصحاح التاسع من إنجيل مرقس.
(٥) الفقرة الثانية والعشرون من الإصحاح السادس عشر من لوقا.
(٦) الفقرة الثامنة من الإصحاح الثامن عشر من لوقا.

وفي الإصحاح الثاني والعشرين من متى ما لفظه: «**في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون. الذين يقولون ليس قيامة**»[١] ا.هـ

فانظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة. وإلى التصريح بأن الذين يقولون: لا قيامة هم الصدوقيون. وكفى بهذا دافعاً في وجه من زعم أن إثبات ذلك زنادقة في الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة في هذه الشريعة المحمدية.

وفي الإصحاح الخامس والعشرين من متى. ما لفظه: «**ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته**»[٢].

وفي هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة. وهذه النقول من الإنجيل الذي جمعه متى ونحوه أيضاً في الأناجيل الأخرى التي جمعها يوحنا ومرقس وغيرهما. وفي إنجيل لوقا في الإصحاح العشرين منه. «**وأما أن الموتى يقومون: فقد دل عليه موسى**»[٣].

وفي الإصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال للمصلوب ما لفظه: «**قال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس**»[٤] انتهى.

---

(١) الفقرة الثالثة والعشرون من الإصحاح الثاني والعشرون من متى.
(٢) الفقرة الحادية والأربعون من الإصحاح الخامس والعشرين من متى.
(٣) الفقرة السابعة والثلاثون من الإصحاح العشرين من لوقا.
(٤) الفقرة الثالثة والأربعون من لوقا الإصحاح الثالث والعشرين.

وفي الإنجيل الذي جمعه يوحنا في الإصحاح الخامس. ما لفظه: فإن تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة. والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»[١].

وفي الإصحاح السادس من يوحنا «**أن كل من يرى الابن ويؤمن به. تكون له حياة أبدية. وأنا أقيمه في اليوم الأخير**»[٢].

وفي الإصحاح الثامن من يوحنا ما لفظه: «**الحق. الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي. فلن يرى الموت إلى الأبد**»[٣] انتهى.

وإذا عرفت هذا المصرح به الإنجيل. هكذا صرح الحواريون من أصحاب المسيح عليه السلام في رسائلهم المعروفة، وهذه النصوص ترد على ابن أبي الحديد المعتزلي شارح «**نهج البلاغة**» قوله وهو: (أن كل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو منافع الدنيا ومضارها، ولم يأت فيها ما يتعلق بما بعد الموت، وأما المسيح فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانياً وكذلك الثواب). انتهى.

وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال: (أن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والملبس والمشرب والمنكح)، انتهى.

---

(١) الفقرتان الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من الإصحاح الخامس من يوحنا.

(٢) الفقرة الرابعة من الإصحاح السادس من يوحنا.

(٣) الفقرة الحادية والخمسون من الإصحاح الثامن من يوحنا.

قال شيخنا العلامة المجتهد المطلق محمد بن علـي الشوكـاني في «**المقالـة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الـدار الآخـرة**»[١]: (إن أصـل هـذه المقالة الملعونة والرواية عن التوراة والإنجيل المكذوبة، مقـالات قالهـا جماعـة من متزندقة اليهود النصارى كابن ميمون وأضرابه.

وأنهم -أي اليهود- كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة، وقد وقع من هذا الملعون التحريف لما في التوراة وتلقى ذلك عنـــهم زنادقـة الملـة الإسـلامية استرواحاً منهم لما يتضمن من القدح في شرائع الله سبحانه). انتهى.

ثم نقل ما في التوراة والزبور والإنجيل نحو مـا ذكرنـا وزاد في النقـول في رسالته التي سماها «**إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيـد والمعـاد والنبوات**»[٢] وهذه الكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنـا باللسـان العربـي فاستفاد من ذلك أن الأمـر خـلاف مـا قالـه زنادقـة الملـة اليهوديـة والملـة النصرانية ثم تعقب الشوكـاني رحمـه الله ابـن ميمـون وابـن أبـي الحديـد وأوضح فساده ثم قال: (وأما نصوص القـرآن فـهو مـن فاتحتـه إلى خاتمتـه مصرحة بالجنة والنار وبعثه الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمـل عليـه القرآن من أنواع ذلك، ومن تتبع ما في كتاب الله سبحانه من حكاية نعيـم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن الملل السالفة وعن كتب الله المنزلة عليـها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لبسطه، وقـد بعـث النـبي ﷺ وأهـل الملـة

(١) الكتاب مطبوع.
(٢) الكتاب مطبوع.

اليهودية والملة النصرانية في أكثر بقاع الأرض ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف ما في التوراة والإنجيل، وقد سكن النبي ﷺ في المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن بها، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها، وكانوا يسمعون ما ينزل الله على رسوله ﷺ من القرآن وينكرون ما ورد مخالفاً لما في التوراة ويجادلون أبلغ مجادلة، كما حكى ذلك القرآن الكريم وتضمنته كتب السير والتاريخ، ولم يسمع أن قائلاً قال إنك تحكي عن التوراة ما لم يكن فيها من البعث ونعيم الجنة وعذاب النار، وقد كانوا يتهالكون على ذلك ويبالغون في تتبعه بل كانوا في بعض الحالات ينكرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم.

فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة، وهل كانوا يعجزون عندما يسمعوا ما حكاه الله عنهم من قولهم ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، أن يقولوا ما قلنا هذا ولا نعتقده ولا جاءت به شريعة موسى، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا في عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى). انتهى كلامه.

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للملة اليهودية ولما جاءت به التوراة ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للملة النصرانية ولما جاء به

الإنجيل وقاله علماء النصارى، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الداؤدية وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به الملة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فنحن وإن لم نقف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء السابقة فقد حكاها لنا القرآن في غير موضع كقوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١]، وقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ -إلى قوله- وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ -إلى قوله- فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر:٣٢-٤٠]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٥] إلى آخر الآيات بطولها.

والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون الملعون وأفراخه فإنه وقع منه كلام في إنكار المعاد ثم اختلف كلامه في ذلك فتارة يثبته وتارة ينفيه وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن

سينا فقلده ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية إثبات المعاد تقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة وسموه كافراً وتبع ابن سينا ابن أبي الحديد شارح «**نهج البلاغة**» وهلم جرا.

باب
في بيان وجود النار الآن

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، كما تقدم في المقدمة، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة عن أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد. وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها؛ فردوا من النصوص الأصول والفروع، وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يسمن ولا يغني من جوع. ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان في الحال، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث كافة لا يختلفون فيها، منهم أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في كتابه «**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين**»[١].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه في مواضع كثيرة يتعسر حدها ويفوت عدها ووصفها. وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها فقال عز من قال:

---

(١) مطبوع.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٤]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران:١٣١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]، وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف:١٠٢]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان:١١]، وقال تعالى: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥]، وقال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦]، وقال: ﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح:١٣]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك:٥]، وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك؟

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(١)، وفيهما أيضاً: «**أن النبي ﷺ رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظراً أفظع من ذلك**»(٢). وفي البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه، ورواه الترمذي والنسائي أيضاً(٣).

---

(١) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٥٢) (٤٣١)، ومسلم (٩٠٧) عن ابن عباس.

(٣) هو ضمن الحديث السابق.

وفي الصحيح (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبي ذر عن النبي ﷺ «**أبردوا بالصلاة فإنّ شدة الحرِّ من فيح جَهنّم**»[١] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير**» رواه البخاري[٢] أي: من ذلك التنفس.

وعن ابن عباس وابن عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «**الحمّى مِن فيحِ جهنّم فأبردوها بالماء**» رواه البخاري[٣]، وفي رواية «**من فور جهنّم**» رواه عن رافع بن خديج[٤].

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر ﷺ: «**ولقد أدنيت النار مني حتى جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم**» الحديث[٥] وفي صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ أنه ﷺ قال: «**لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا:**

=ورواه البخاري (٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦).

رواه الترمذي (٢٦٠٣)، والنسائي في الكبرى (٩٢٥٩).

(١) رواه البخاري (٥٣٩) (٦٢٩) عن أبي ذر.

(٢) ورواه (٥٣٦، ٥٣٣، ٥٣٤) عن أبي هريرة.

(٣) رواه (٣٢٦٤، ٥٧٢٣) عن ابن عمر.

(٤) رواه (٥٧٢٦، ٣٢٦٢) عن رافع.

(٥) رواه الإمام أحمد (١٥٩/٢)، والنسائي في الكبرى (١٣٧/٣-١٣٨)، وابن خزيمة (٩٠١)، وابن حبان (٢٨٣٨) بسند صحيح عن ابن عمر.

أما عزو المؤلف هذا الحديث لأبي داود ففيه نظر لأن أبو داود أخرج هذا الحديث لكنه لم يذكر دنو النبي ﷺ من الجنة والنار.

وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار»[١].

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع وقال: بعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر الجنة فحفت بالمكاره، فقال: فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار، وقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفّت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها**» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[٢].

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً يرفعه «**حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات**»[٣] وفي الباب أحاديث كثيرة، وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في «**عقائده**»: (الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان إلى يوم القيامة) انتهى، ونحوه ومثله في الكتب الأخرى المؤلفة في أصول الدين.

---

(١) مسلم (٤٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠)، ورواه البخاري (٦٥٤٥) عن أبي هريرة.

باب
في أن النار لا تفنى ولا يفنى ما فيها

قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة:٣٩]، وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:١٤]، وقال تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۝١٧﴾ [التوبة:١٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [التوبة:٦٣]، وقال: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ [النحل:٢٩]، وهذه في غير موضع من القرآن، وقال: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ [الأنبياء:٩٩]، وقال: ﴿فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون:١٠٣-١٠٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝٧٤﴾ [الزخرف:٧٤]، وقال: ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ﴾ [الحشر:١٧]، وقال: ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ [البينة:٦]، وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه**» أخرجه الشيخان[1] وفي رواية عنه عندهما

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال «**يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين، ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين، فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها**» أخرجه البخاري ومسلم[٢].

وفي هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة عن الترمذي وصححه والحاكم وابن ماجه، وعن أنس عن أبي يعلى والبزار والطبراني وفيه «**فيذبح كما تذبح الشاة**» فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء، فثبت بما ذكر من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم.

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة وزعمت الجهمية أن الجنة والنار تفنيان، قال هذا جهم بن صفوان أمام المعطلة وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة.

نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل ذلك كله

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) عن ابن عمر أيضاً.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

سبعة أقوال:

أحدها: قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها يخلد فيها أبد الآباد.

الثاني: قول من يقول أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول محيي الدين بن عربي الطائي في كتابه «**فصوص الحكم**»[(١)] وغيره من كتبه.

الثالث: قول من يقول إن أهل النار يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨٠-٨١]، فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده.

الرابع: قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال: والقرآن والسنة يردان هذا القول.

---

(١) مطبوع.

الخامس: قول من يقول تفنى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديتها، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم.

السابع: قول من يقول إن الله تعالى يفنيها لأنه ربها وخالقها، لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية. وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين، ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق الحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى ركون إلى هذا القول، وذكر ابن القيم على تأييده بضعاً وعشرين وجهاً ثم قال: وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المنان به، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه. والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم. انتهى[(١)].

وقد ألف العلاّمة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها «**توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين**»[(٢)] وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد ابن إسماعيل الأمير[(٣)]، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي

---

(١) ذكره في حادي الأرواح حيث ناقش هذه المسألة في الأبواب السبعة الأولى من الكتاب المذكور.

(٢) طبعت.

(٣) وقد حققها الشيخ ناصر الدين عليه الرحمة والمغفرة والرضوان واسمها «**رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار**» طبعت بالمكتب الإسلامي.

الشوكاني[1] حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما، وهو الحق الذي دلّت عليه أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم.

قال القرطبي: (أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها: كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطغى وتجبر فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، وقد أعدهم الله عذاباً أليماً فقال عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد. فاعلمه.

وقد زلّ هنا بعض من ينتمي إلى العلم والعلماء فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وأنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب، فيعكس عليه، فيقال: وكذلك جائز في العقل: أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق، قال تعالى في أهل الجنان: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٨]، أي: غير مقطوع وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر:٤٨]، وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ [فصلت:٨]، وقال: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة:٢٢]، وقال في حق الكافرين: ﴿لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية:٣٥]،

---

(١) لا تزال مخطوطة.

وهذا واضح.

وبالجملة فلا مدخل للعقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والنقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [الجاثية:٣٥]) انتهى[١].

ولعل القرطبي أراد بقوله: (زل هنا بعض) الشيخ محي الدين بن عربي صاحب «**الفتوحات**»[٢] فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة، وبناء هذا القول على أنه ترجح في أنظارهم سبق رحمه الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح في البخاري وغيره[٣] وعلى أن الخُلف في الوعيد جائز وفي الوعد لا يجوز، ولكل وجهة هو موليها، ولكن لا ريب في أن ظاهر النظم القرآني وواضح النص السُّنّي: خلود كل من أهل النار والجنة في كل من الجنة والنار. وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها. والله أعلم وعلمه أتم وأحكم.

• مسألة: (سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال «**سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء: النار وسكانها، والجنة وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش**»، فهل هذا الحديث صحيح أم لا.

---

(١) التذكرة (٢/٢٣١-٢٣٢) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) مطبوع.

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٢١)، عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبق غضبي».

فأجاب رحمه الله: هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء، وقد اختلف سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعة كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد دلت الأدلة على بقاء الجنة والنار وأهلهما وبقاء غير ذلك، وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية). انتهى ولا يتسع المقام لذكرها هنا[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨) والحديث المذكور لم أعثر عليه.

باب
في ذكر مكان النار، وأين هي؟
على مقتضى الآثار وكذا مكان الجنة

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى في محكم القرآن ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝﴾ [النجم:١٣-١٥]، وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝﴾ [الذاريات:٢٢]، قال مجاهد هو الجنة، وتلقاه الناس عنه رواه ابن أبي نجيح[١]، وفي رواية عنه: هو الجنة والنار. حكاه ابن المنذر في تفسيره.

وعن عبد الله بن سلام قال: قال أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ «**إن الجنة في السماء**» أخرجه أبو نعيم[٢]. وعنده أيضاً عن ابن عباس «**أن الجنة في السماء السابعة**» ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الأرض والسابعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**الجنة في السماء السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة**[٣] **فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء**» أخرجه ابن مندة[٤].

---

(١) رواه الطبري (٢٦/٢٠٥-٢٠٦)، وابن المنذر كما ذكر السيوطي (١٣/٦٧٩-٦٨٠).

(٢) رواه الحاكم (٤/٦١٢)، والحارث (٩٣٥-بغية) والبيهقي في الشعب (٣٦٦).

(٣) عزاه المناوي في الفيض (٣/٣٦٠) لابن عباس.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٠).

وقال مجاهد: قلت لابن عباس «**أين الجنة؟ قال فوق سبع سماوات، قلت فأين النار؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة**» رواه ابن منده[1]، قال الشوكاني في «**فتح القدير**»: (والأولى الحمل على ما هو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها). انتهى.

وعن ابن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن جهنم محيطة بالدنيا. وإن الجنة وراءها فلذلك كان الصراط على جهنّم طريقاً إلى الجنة**» أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان[2].

وعن معاذ بن جبل ﵁: «**سئل رسول الله ﷺ من أين يجاء بجهنّم يوم القيامة؟ قال يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلّق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلي إلى أهلي فإذا كانت من العباد على مسير مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فيقول ربّ نفسي نفسي**»، وأخرجه جويبر في تفسيره[3].

---

(١) عزاه في الفيض (٣/٣٦٠) لابن عباس وعزاه لابن منده ابن رجب في التخويف من النار (ص٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم (٢/٩٣)، والخطيب في التاريخ (٢/٤٩١)، قال ابن رجب في التخويف من النار (ص٧٦) غريب منكر وفي إسناده قيس بن الربيع تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدّث به.

(٣) روى مسلم (٢٨٤٢) في الصحيح عن ابن مسعود مرفوعاً: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».
وزوي عن أبي هريرة موقوفاً من قوله ذكره ابن أبي الدنيا.

وعن يعلى بن أمية ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**البحر هو جهنّم**» أخرجه أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات[١].

وعن سعيد بن أبي الحسين قال: «**البحر طبق جهنّم**» أخرجه أحمد في الزهد[٢].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ما رأيت يهودياً أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هي البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته. أخرجه أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن المسيب[٣].

وعن كعب في قوله تعالى ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور:٦]، قال: البحر يسجر فيصير جهنّم أخرجه أبو الشيخ[٤] وعن وهب بن منبه أنه قال: إذا قامت القيامة أمر بالفلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنّم وهو بحر البحور نشفته

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٣/٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤٠/١) (٤١٤/٨) والفسوي في المعرفة (٣٠٨/١)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٨٣)، والطبري في التفسير (٢٣٩/١٥)، والحاكم في الصحيح (٥٩٦/٤)، والبيهقي في السنن (٣٣٤/٤)، وفي البعث (٤٥١، ٤٥٢)، وابن قانع في الصحابة (٢١٧/٣)، والمقدسي في ذكر النار (٤٧).

قال ابن كثير: حديث غريب جداً.

ملاحظة: عند البخاري بلفظ: «**البحر من جهنم**».

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص٢٨٨)، عن سعيد بن أبي الحسن.

(٣) رواه ابن جرير (١٨/٢٧) (٦٧/٣٠)، والبيهقي في البعث ورواه أبو الشيخ في العظمة (١٤٠٨/٤).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٥/٥).

أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنّم والأرضين السبع، فإذا نشفت اشتعلت في الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة، أخرجه البيهقي في **«شعب الإيمان»**[(١)].

وقيل: إن النار في السماء كالجنة لما روى أحمد من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«أتيت بالبراق فلم نزايل طرفة عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار»**[(٢)]، وأخرج أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: **«رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء، وقرأ هذه الآية** ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، **فكأني لم أقرأها»**.

قال السفاريني: (وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز أن يراها في الأرض وهو في السماء، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض، وثبت أنه ﷺ رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو في الأرض.

قال الحافظ ابن رجب: وحديث حذيفة إن ثبت فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئي. وفي حديث ضعيف جداً **«أنه ﷺ رأى الجنة والنار فوق السماوات»** فلو صح على حمل ما ذكرنا[(٣)].

---

(١) شعب الإيمان (٣٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/٣٩٢)، والترمذي (٣١٤٧)، والطيالسي (٤١١)، والحميدي (٤٤٨)، والبزار في مسانيدهم والطحاوي في المشكل (٥٠١٤) والبيهقي في الدلائل (٢/٣٦٤).

(٣) التخويف من النار (ص٧٧)، والعلاّمة صديق نقل كلام ابن رجب من البحور الزاخرة.

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش، وإن النار، في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق) انتهى.

أقول: قال السيوطي في «تمام الدراية شرح النقاية»(١): (ونعتقد أن الجنة في السماء وقيل في الأرض وقيل بالوقف حيث لا يعلمه إلا الله، والذي اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى في قصة آدم ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ [البقرة:٣٨]، وفي الصحيح «**سلوا الله الفردوس فإنه أعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة**»، وفي صحيح مسلم «**أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش**»(٢)، **وتقف عن النار أي: تقول فيها بالوقف أي: محلها حيث لا يعلمها إلا الله، فلم يثبت عندي حديث اعتمده في ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضعفه من حديث ابن عمر مرفوعاً «لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً»**(٣). وروي عنه أيضاً موقوفاً «**لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنّم**»

---

(١) مطبوع.

(٢) مسلم (١٨٨٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٤٨٩)، والبخاري في التاريخ (١٠٤/٢)، والحارث في مسنده (٣٥٩-بغية) وابن حبان في المجروحين (٢٣٤/٢)، والبيهقي في السنن (٣٣٤/٤) (١٨/٦) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤٠/١) عن عبد الله بن عمرو.

قال أبو عمر: (حديث ضعيف مظلم الإسناد لا يصححه أهل العلم بالحديث لأن رواته مجهولون لا يعرفون) ا.هـ وهو عند ابن حجر في عداد الضعيف.

ورواه عمر بن عبدالرحمن أبو حفص الأبار عن ليث عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، ولم يذكر: «**فإنه تحت البحر نار**».

ورواه الفاكهي في أخبار مكة (٨٩٦).

وضعفه، وقيل هي على وجه الأرض لما روى وهب أيضاً.

قال: أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالاً صغاراً، إلى أن قال: يا قاف أخبرني عن عظمة الله فقال: إن شأن ربنا لعظيم. إن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً ولولا هي لاحترقت من جهنم. وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله بن سلام قال: «الجنة في السماء والنار في الأرض»، وقيل محلها في السماء. انتهى كلام السيوطي ومثله في «التذكرة» للقرطبي قال: فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض)[1] انتهى.

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته: (ولم يصرح نص بتعين مكانهما بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه) انتهى.

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى.

---

(١) النقل من البحور الزاخرة للسفاريني.

باب
في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم

قال القرطبي في «**التذكرة**»[١]: (ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها وأوعد بها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهاهم، والآي في هذا المعنى كثيرة) انتهى.

وهذا الكثير أذكره في بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار في الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد في صفة النار وأهلها وإن كان في هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٤]. الوقود بالفتح الحطب وبالضم التوقد وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها. وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة فأوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها، ومعنى «**أعدت**» جعلت عدة لعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس.

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: «**أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهيبها**»، أخرجه ابن مردويه والبيهقي في «**شعب الإيمان**»[٢].

---

(١) التذكرة (١٥٨/٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٩)، وفي إسناده الكديمي قال ابن رجب في التخويف (ص٩٩) ليس بحجة.

وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوع مثله[(١)].

وأخرجه أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: «**نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنّم. قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال فإنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها**»[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: «**ترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون، إنها لأشد سواداً من القار**»[(٣)]، قال الشوكاني في «**فتح القدير**»: (والآية دلت على أنها مخلوقة إذ الأخبار عن إعدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلا لزم الكذب في خبر الله تعالى، فما زعمت المعتزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود وتأويلهم بأنهُ يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بقرينة والأحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه) انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩١)، وابن ماجة (٤٣٢٠)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٥٦) والبيهقي في البعث (٥٥) وفي شعب الإيمان (٧٩٩) بسند ضعيف.

وروي موقوفاً عن أبي هريرة وهو ما رجّحه بعضهم وفي الباب أحاديث وآثار أُخر فراجعها في كتاب ابن رجب التخويف من النار (ص٩٨-٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٣) رواه مالك في الموطأ (١٨٠٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٦١).

فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة:٣٩]، أي: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول: دام أو لم يدم، والمراد هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد**». أخرجه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم[(١)] وقال ابن عباس: يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا انقطاع له[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، أي: قدراً مقدراً يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب قاله اليهود، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها**»[(٣)]، قال عكرمة: وهذه الآية في مواضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة:١١٩]، وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق نار، وقال أبو مالك: الجحيم ما عظم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/٤) عن ابن مسعود مرفوعاً.
قال أبو حاتم: حديث •منكر العلل (٢١٦١) (٢٢٤/٢).
قال ابن رجب البغدادي: (والحكم بن ظهير ضعيف، ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف على ابن مسعود فإنه روي عنه موقوفاً من وجه آخر بإسناد جيد) ا.هـ
(٢) رواه ابن إسحاق كما في السيرة (٧٥/٣) ومن طريقه الطبري في التفسير (٣٨٨/١).
(٣) البخاري (٣١٦٩، ٤٢٤٩).

من النار، وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦]، أي: سأرزقه في الدنيا مدة حياته ثم ألزه لز المضطر إلى عذابها.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، فيه دليل على خلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض له يرجع إلى المذهب، والبحث في هذا يطول، وعن ثابت بن معبد قال ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:١٧٤]، ذكر البطون دلالة وتأكيداً على أن هذا الأكل حقيقة، وقال تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة:١٧٥]، معناه التعجب والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم.

وقال تعالى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة:٢٠٦]، أي: كافيه معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار، وقيل: أنها بدل لهم من مهاد والمهاد الفراش، قال مجاهد: بئسما مهدوا لأنفسهم[1]، وقال ابن عباس: بئس المنزل، وهذا من باب التهكم والاستهزاء.

(١) رواه الطبري (٣/٩٣).

وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٢١]، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار فكان في مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه، وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝﴾ [آل عمران:١٠]، أي: حطب جهنم الذي تسعر به، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝﴾ [آل عمران:١٢]، الجملة مستأنفة تهويلاً وتفظيعاً أي: بئس ما مهد لهم فيها، وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وشفا كل شيء حرفه أي: كنتم على طرفها من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ۝﴾ [آل عمران:١٣١]، قال بعضهم: إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه، وقال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝﴾ [آل عمران:١٥١]، أي: مسكنهم الذي يستقرون فيه وكلمة «بئس» تستعمل في جميع المذام، وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم رمز إلى خلودهم فإن المثوى مكان الإقامة المنبثقة عن المكث، والمأوى المكان الذي يأوي إليه الإنسان، وقدم المأوى على المثوى لأنه على الترتيب الوجودي يأوي ثم يثوي.

وقال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝﴾ [آل عمران:١٦٢]، أي: المرجع يعني الغال والمتخلف عن رسول الله ﷺ وقال تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝﴾ [آل عمران:١٨١]، والحريق اسم للنار الملتهبة وإطلاق الذوق على

إحساس العذاب فيه مبالغة بليغة، وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، الزحزحة التنحية والإبعاد، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٢]، قال المفضل: أخزيته أهلكته وقيل: فضحته وأبعدته، قال سعيد بن المسيب: هذه الآية خاصة بمن لا يخرج منها[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠]، المراد بأكلها ما يكون سبباً للنار، تعبير بالمسبب عن السبب، قيل بطونهم أوعية النار وهذا على الحقيقة كما تقدم.

وقيل: بالمجاز والأول أولى، وقال تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠]، أي: بأكلهم أموال اليتامى والصلا هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها، والسعير الجمر المشتعل وقيل النار الموقدة، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤]، أي: وله بعد إدخاله النار عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه. ولا دليل في الآية للمعتزلة على أن العصاة والفساق من أهل الإيمان يخلدون في النار، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء:٣٠]، أي: عظيمة يحترق فيها.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء:٥٥]، أي: ناراً مسعرة لمن لا يؤمن.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٢/١)، ومن طريقه ابن جرير (٢١١/٤)، وابن المنذر (١٢٦٧).

وقال تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، أي: آتيناهم مكان كل جلد محترق جلداً آخر غير محترق فإن ذلك أبلغ في العذاب للشخص لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها في الجلد المحترق، قال معاذ: تبدل في ساعة مائة مرة[1].

وعن ابن مسعود: أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً. وقال الحسن: تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]، وليس وراء هذا التشديد تشديد، ولا مثل هذا الوعيد وعيد.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:٩٣].

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجية الإجماع ولا حجة في ذلك كما قرّره الشوكاني في كتبه وقررته أنا في «**فتح البيان**»[2]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء:١٢١]، أي: معدلاً وقيل ملجأ ومخلصاً ومحيداً ومهرباً، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥١٧)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/٥١٥-كثير).
وروي ذلك عن كعب الأحبار ذكر ابن رجب في كتابه «**التخويف من النار**» (ص١٧٢).

(٢) مطبوع.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء:٩٧]، أي: مكاناً يصيرون إليه، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب بأي سبب كان وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره حقت عليه الهجرة، وفي الباب أحاديث ذكرناها في خاتمة كتاب «**العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**»(١) فراجعه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء:١٤٠]، أي: كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥]، أي: في الطبق الذي في قعر جهنم، والدرك الطبق، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض، وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة.

فالمنافق في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله، وأعلى الدركات جهنّم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتي تفصيل لذلك، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا، أعاذنا الله منها وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم.

وإنما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في الآخرة تعديلاً، ولأنه مثل في الكفر وضم إلى

---

(١) مطبوع.

كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله، قال ابن مسعود: الدرك الأسفل توابيت من حديد مقفلة عليهم[1] وفي لفظ مبهمة عليهم أي: مقلقة لا يهتدى لمكان فتحها. وعن أبي هريرة نحوه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٧-١٦٨]، والمعنى يدخلهم جهنم لكونهم اقترفوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط شقائهم وجحدوا الواضح وعاندوا البين.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ [المائدة:١٠]، أي: ملابسوها، والجملة مستأنفة أتى بها اسمية دالة على الثبوت والاستقرار، وهذه الآية نص قاطع في أن الخلود ليس إلا للكفار، لأن المصاحبة تقتضي الملازمة.

وقال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [المائدة:٢٩]، أي: من الملازمين لها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المائدة:٣٧]، أي: دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً.

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرواية بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار، فمن أنكر هذا فليس بأهل

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩٠١٥)، والطبري في التفسير (٣٣٨/٥)، وهناد في الزهد (٢٢٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥٧١/١-تفسير ابن كثير)، وابن أبي شيبة (٣٤١٢٥).

المناظرة لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، أي: مصيره إليها في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام:٢٧]، أي: حبسوا عليها وقيل ادخلوها وقيل بقربها معانين لها، والتقدير لرأيت منظراً هائلاً وحالاً فظيعاً وأمراً عجيباً.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام:٧٠]، والحميم الماء الحار البالغ نهاية الحرارة، ومثل قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج:١٩]، وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم.

وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف:١٨]، وفي هذا من التهديد ما لا يقادر قدره، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]، جمع غاشية أي: نيران تحيط بهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم كالأغطية، قال ابن عباس: الغواش اللحف، وبه قال القرطبي والضحاك والسدي(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

---

(١) رواه ابن المنذر كما في تفسير السيوطي (٣٩٢/٦) عن ابن عباس قال: ﴿ومن فوقهم غواش﴾ اللحف، ورواه ابن جرير (١٨٢/٨)، وهنّاد في الزهد (٢٦٤) وأبو الشيخ كما في تفسير السيوطي (٣٩٢/٦) عن محمد بن كعب القرظي.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩]، أي: جعلهم سبحانه للنار بعدله وبعمل أهلها يعملون، وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن الله لما ذرأ لجهنم من ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم**» أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن النجار(١).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**» أخرجه مسلم(٢).

وقال تعالى: ﴿أَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال:١٤]، إشارة إلى العقاب الآجل الذي أعده الله لهم في الآخرة، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال:٣٦]، أي: يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمرون على الكفر.

وقال تعالى: ﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾ [الأنفال:٣٧]، أي: الفريق الخبيث في جهنم

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤١٦)، والطبري (١٣١/٩)، وابن النجار في «**ذيل تاريخ بغداد**» (٩٣/٨)، وأبو الشيخ وابن مردويه وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦٨٢/٦).

من طريق معاوية بن إسحاق عن جليس له بالطائف عن عبدالله بن عمرو، وفيه رجل لم يسم.

(٢) رقم (٢٦٦٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال:٣٧]، أي: الكاملون في الخسران.

وقال تعالى: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]، أي: المحرق والذوق قد يكون محسوساً وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار.

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة:١٧]، وفي هذه الجملة الإسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيد لمضمونها. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

والبشارة بالعذاب من باب التهكم بهم وأن النار توقد على ما ذكر من الأعضاء وهي ذات حمى وحر شديد، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩]، أي: مشتملة عليهم من جميع الجوانب لا يجدون عنها مخلصاً ولا يتمكنون من الخروج منها بحال من الأحوال، وهذا وعيد لهم على ما فعلوا، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة:٦٣]، أي: يخالفهما وأصل المحاددة وقوع هذا في حدو ذلك في حد، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨]، أي: نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفكّ عنهم كالزمهرير والمعنى يصلونها مقيمين فيها مقدرين

الخلود والنار كافيهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها.

وقال تعالى: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١]، أي: حراً كثيراً في زمن كبير بل غير متناهٍ أبد الآبدين ودهر الداهرين، وقال تعالى: ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:٩٥]، والمأوى كل مكان يأوي إليه ليلاً أو نهاراً.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة:١٠٩]، والشفا الشفير يقال أشفا على كذا إذا دنا منه وقرب أن يفع فيه والجرف ما ينجرف بالسيول وهي الجوانب التي تنحفر بالماء، وقيل: المكان الذي أكل الماء تحته فهو إلى السقوط قريب، وقيل: البئر التي لم تطو، وقيل: هو الهوة، والاجتراف اقتلاع الشيء من أصله والهار الساقط.

قال ابن عباس: أي: صيرهم نفاقهم إلى النار وجاء بالانهيار الذي هو للجرف ترشيحاً للمجاز، فسبحان الله ما أبلغ هذا الكلام وأقوى تراكيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه، وقال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]، فيه النهي عن الاستغفار للمشركين الذين هم أهل النار.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٧٠]، وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره، وكل مسخن عند العرب فهو حميم، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود:١٦]، الآية خاصة بالكفار، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ [البقرة:١٢]، أي: بالنبي أو القرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧]، أي: من أهل النار لا محالة وفي جعل النار موعداً إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» أخرجه البغوي بسنده[1]. قال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث فقلت أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣]، وفيه أن الظلمة أهل النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مسها، وهذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم نفسه؟ وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٣]، أي: ممن يستحقها من الطائفتين.

وقال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد:٥]، جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل في العنق وتشد به اليد إلى العنق أي: يغلون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير

(١) رواه مسلم (١٥٣).

ذليلاً بالغل، وقال تعالى: ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥﴾ [الرعد:٣٥]، أي: ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك.

وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم:١٦]، أي: من بعده وقيل من أمامه ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ [إبراهيم:١٦]، أي: ما يسيل من الجلود واللحوم، وهو دم مختلط بقيح يسيل من جلد الكافر ولحمه. وقال مجاهد هو القيح والدم[١]، وقال القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر[٢] ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم:١٧]، أي: يبتلعه.

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله** ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد:١٥]. **وقال** ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف:٢٩]» أخرجه أحمد والترمذي واستغربه النسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية[٣].

---

(١) رواه الطبري (١٩٥/١٣)، وروي نحوه عن الضحاك.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٣٥١/٩) (٢٢٢/١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٦٥/٥) وابنه في زيادات الزهد (ص٢٠)، والترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، وابن المبارك في الزهد (٣١٤)، والطبراني في الكبرى (٧٤٦٠)، وفي مسند الشاميين (٩٢٤)، والحاكم (٣٥١/٢، ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٥٧)، والبيهقي في البعث (٥٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/٨).

وعزاه ابن كثير (٥٢٧/٢)، لابن أبي حاتم والحديث ضعيف في إسناده جهالة.

وروي طرف منه عن أبي سعيد بإسناد مصري ضعيف.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم:١٧]، أي: من كل جهة من الجهات الست أو من كل موضع من مواضع بدنه، والمراد بالموت البلاء الذي يصيب الكافر في النار سماء موتاً لشدته ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم:١٧]، حقيقة فيستريح وقيل تعلق نفسه في حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا، ومثله قوله ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه:٧٤]، وقيل: ما هو بميت لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم:١٧]، أي: شديد يستقبل في كل وقته عذاباً أشد مما هو عليه، قيل: هو الخلود في النار وقيل: حبس الأنفاس.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩]، أي: قرارهم فيها، أو بئس المقر جهنّم، والبوار الهلاك؛ وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل:٦٢]، أي: مقدمون إلى النار، وقيل متركون منسيون فيها، وقيل معجلون إليها، وقيل مسرفون في الذنوب، وقرئ بكسر الراء أي: مضيعون أمر الله.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء:٨]، أي: سجناً ومحبساً لا يخلصون عنها أبداً، وقيل: فراشاً ومهاداً، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء:١٨]، أي: ملوماً من الخلق مطروداً من رحمة الله مبتعداً عنها، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء:٣٩]، ومعناه ما تقدم آنفاً، وقال

تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ [الإسراء:٦٣]، أي: وافراً مكملاً، وقيل: موفراً بإضمار تجازون.

وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف:١٠٠]، أي: أظهرناها حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم، وفي ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف:١٠٢]، يتمتعون به عند ورودهم،والنزل المأوى والمنزل، والمعنى أن جهنّم معدة لهم كما يعد المنزل للضيف.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم:٦٨]، أي: جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، وقيل: جثياً أي: جماعات، وقال ابن عباس: قعوداً. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، أي: النار ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]، أي: أمراً محتوماً لازماً قد قضى سبحانه أنه لابد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه.

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهل معروفة، وقال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم:٨٦]، أي: مشاة عطاشاً، قيل: يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه:٧٤]، وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي

ﵟٱلظَّٰلِمِينَﵞ [الأنبياء:٢٩]، أي: الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

وقال تعالى: ﵟلَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْﵞ [الأنبياء:٣٩]، أي: لا يقدرون على دفعها من جانب من جوانبهم، وقال تعالى: ﵟإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَﵞ [الأنبياء:٩٨]، أي: وقود النار وحطبها. وكل ما أوقدت به النار أو هيجتها فهو حصب قاله الجوهري، وقال أبو عبيدة: كل ما قذفته في النار فقد حصبتها فيه، وقال تعالى: ﵟوَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِﵞ [الحج:٩]، أي: عذاب النار المحرقة، وقال تعالى: ﵟأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِﵞ [المائدة:١٠]، أي: النار الموقدة.

وقال تعالى: ﵟأَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُﵞ [الحج:٧٢]، أي: الموضع الذي يصيرون إليه، وقال تعالى: ﵟفِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَﵞ [المؤمنون:١٠٣-١٠٤]، أي: تحرقها، والكالح الذي قد شمرت شفتاه وبدت أسنانه.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ في الآية قال: «**تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته**»، أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح غريب[1]،

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٨٨)، وابنه في زوائد الزهد (٢٠)، وكذا ابن المبارك (٩٢)، وفي المسند (١٢٦)، وأبو يعلى (١٣٦٧)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٢٨)، والحاكم (٢/٢٦٩، ٤٢٨)، من طريق أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

وقال تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور:٥٧]، أي: المرجع.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان:١١]، وهي النار المشتعلة، والنار موجودة اليوم لهذه الآية، وقال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٩٠]، أي: طرحوا عليها، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨]، أي: مكان يستقرون فيه، والاستفهام للتقرير، وهذه في مواضع القرآن.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١]، أي: النار المستمرة وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة:٢٠]، أي: منزلهم الذي يصيرون إليه؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]، أي: بلا انقطاع، وهذا تأكيد لما استفيد من «**خالدين**».

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ:١٢]، قال أكثر المفسرين: وذلك في الآخرة. وقال تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ:٤٢]، أي: الدنيا. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، أي: من أهل النار، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦].

=ونقله ابن كثير عن الترمذي لكن قال: حسن غريب.

وهذا الإسناد معروف مشهور مصري ضعيف.

وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ [يس:٦٣]، أي: بها في الدنيا على ألسنة الرسل، وقال تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات:٢٣]، أي: عرفوا هؤلاء المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها، وقال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصافات:٥٥]، أي: في وسطها.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٨﴾ [الصافات:٦٨]، أي: بعد شرب الحميم وأكل الزقوم. وقال تعالى: ﴿ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧﴾ [الصافات:٩٧]. أي: النار شديدة الاتقاد، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات:١٦٣]، أي: من أهل النار، والصلي الدخول، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦﴾ [الصافات:٥٥-٥٦]، أي: الفراش، وقال تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص:٨٥]، أي: من ذرية آدم، وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ [الزمر:٨]، أي: مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام، وهو تعليل لقلة التمتع، وفيه من التهديد أمر عظيم.

وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ۝١٩﴾ [الزمر:١٩]، أي: حقت عليه كلمة العذاب.

وقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر:٦٠]، يعني مقراً ومقاماً، و«**الكبر هو بطر الحق وغمط الناس**» كما في الحديث الصحيح.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر:٦]، أي: لأجل أنهم مستحقون للنار، وقال تعالى: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر:٧]، أي: احفظهم منه واجعل بينهم وبينه الوقاية، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾ [غافر:٤٣]، أي: المستكثرين من معاصي الله، وقيل السفاكون للدماء بغير حقها، وقيل الجبارون المتكبرون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر:٦٠]، أي: ذليلين صاغرين، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر:٧٢]، أي: توقد بهم النار أو تملأ بهم.

وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ [غافر:٧٦]، وتقدم نحو هذه الآية، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ﴾ [فصلت:٢٨]، أي: دار الإقامة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [فصلت:٤٠]، الاستفهام للتقرير، والغرض منه التنبيه على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤﴾ [الزخرف:٧٤]، أي: أهل الإجرام الكفرية. وقال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح:٦]، وقد تقدم نحو هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣﴾ [الفتح:١٣]، أي: النار الشديد الحر.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور:١٣]، الدع الدفع عنف وجفوة، قال مقاتل: تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم، وقال تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٥]، أي: أنها أولى بكم وقيل: هي ناصركم على طريقة قول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجمع

وقال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة:٨]، تقدم نحو هذه الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣]، أي: وإن نجوا من عذاب الدنيا. وقال تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر:١٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ [الملك:٥-٦].

وقال تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح:٢٥]، وهي نار الآخرة، وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقيق وقوعه، ومثله قوله ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٥]، فيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان:٤]. وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات:٣٦]، أي: أظهرت النار

المحرقة إظهاراً بيناً مكشوفاً لا يخفى على أحد قال مقاتل كشف عنها الغطاء فينظر إليه الخلق والظاهر أنها تبرز لكل راء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير:١٢]، أي: أججت وأوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً أو زيد في إحمائها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤]، أي: نار ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار:١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين:٧-٩]، وفي تفسير (سجين) أقوال ذكرناها في تفسير «**فتح البيان**» وأولاها ما فسر به سبحانه في هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى:١١-١٢]، أي: العظيمة الفظيعة لأنها أشد حراً من غيرها وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا، وقال الزجاج: هي السفلى من أطباق النار، وقيل: أن في الآخرة نيراناً ودركات متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران.

وقال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣]، قال الواحدي: قال المفسرون: جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه يقول يا رب نفسي نفسي.

قلت: وهذا الذي نقله قد أتى مرفوعاً عن رسول الله ﷺ كما تقدم في الباب.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد:٢٠]، أي: مطبقة مغلقة الأبواب.

وقال تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق:١٨]، أي: الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم قاله الزجاج وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب[1]، وقال تعالى «**نار حامية**» أي: قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية.

وقال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر:٦-٧]، أي: الرؤية التي هي نفس اليقين.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣٨٤/٢)، وابن جرير (٢٥٧/٣٠-٢٥٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٣/١٥) لابن المنذر وعبد بن حميد.

باب
في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة:٨١]، المراد بالسيئة هنا الجنس. ولابد أن يكون سبباً محيطاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة، وسدت عليها مسالك النجاة، والخلود في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار، قال الحسن: كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة:١١٩]، أي: عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنها شنيعة، ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها، وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له ﷺ، وعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت هذه الآية**».

أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه عن داود بن عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذي قبله[1].

---

(١) كلام السيوطي في الدر المنثور (٥٧٥/١) والحديث عن محمد بن كعب مرسلاً. رواه الطبري (٥١٦/١) وعبدالرزاق (٥٩/١).

قلت: وأخبار إسلام أبوي النبي ﷺ أضعف من ذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢]، واستدل به على جواز لعن الكفار على العموم، قال القرطبي: ولا خلاف في ذلك، قال ابن العربي: أن لعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٦]، قيل: هم أهل الكتاب، وقيل: المرتدون، وقيل: المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار، وقيل: هم المنافقون.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران:١٣١]. فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠].

---

(١) نقل ذلك عن ابن العربي أيضاً القرطبي في تفسيره الجامع (١٨٩/٢).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يبعث يوم القيامة قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً. فقيل يا رسول الله من هم؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية»**. أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم[(1)].

وعن أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي ﷺ عن ليلة أسري به قال: **«نظرت فإذا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار فيقذف في فيّ أحدهم حتى يخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»**، الآية. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم[(2)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء:١٤]، الآية في قسمة المواريث فإذا لم يرض فيها لقسمة الله وتعدي حده كفر إذا لم يتب.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، أي: كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلد محترق جلداً آخر غير محترق، فإن ذلك

---

(١) رواه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٧٤٤٠)، ومن طريقه ابن حبان (٥٥٦٦)، وعزاه السيوطي (٤/٢٥٠) لابن أبي حاتم الطبراني.

(٢) رواه الطبري (٤/٢٧٣)، وعزاه في الدر لابن أبي حاتم.
وفي إسناده أبو هارون العبدي ضعيف الحديث جداً.

أبلغ في العذاب للشخص، وقيل: المراد بالجلود السرابيل، ولا موجب لترك المعنى الحقيقي هنا قال ابن عمر: يبدلون جلوداً بيضاء مثال القراطيس[١] وتقدم هذه الآية في الباب السابق.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ -إلى قوله- قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام:٢٧-٣١].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف:٣٨]، قال السدي: يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئين الصابئين، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى[٢] ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب، أما القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأما الأتباع فبكفرهم وتقاليدهم، قاله الكرخي.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٥٤٩٤)، والطبري (١٤٢/٥).

(٢) رواه الطبري (١٧٣/٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٥٠-٨٤٥٥).

ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝﴾ [الأعراف:٤٤-٤٥]، وهذه المناداة لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، عن ابن عمر: «**أن النبي ﷺ لما وقف على قليب بدر تلا هذه الآية**» أخرجه ابن أبي شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝﴾ [الأعراف:٥٠-٥١].

قال ابن عباس: ينادي الرجل أخاه فيقول يا أخي أغثني فإني قد احترقت فأفضي علي من الماء فيقال: أجبه فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾ [الأعراف:٥٠][(٢)]، ومعنى ننساهم نتركهم في النار، وقال مجاهد: نؤخرهم جياعاً عطاشاً، وقيل: نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً. قال ابن عباس: نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر[(٣)]، وسمي جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً[(٤)] لأن الله

---

(١) ذكره السيوطي (٣٩٧/٦)، وهو عند البخاري (٣٩٨٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٤٧٧٣)، وهناد (٢٨٨)، وابن أبي حاتم (٨٥٣/٢)، والطبري (٢٠١/٨)، وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ كما في تفسير السيوطي المأثور (٤١٣/٦).

(٣) رواه الطبري (٢٠٢/٨)، وابن أبي حاتم (٨٥٤٦).

(٤) لا يوجد مجاز إنما معنى النسيان أوسع في كونه عدم التذكر وحصره بذلك المعنى جعلهم يدخلون المجاز في التفسير والقرآن غني عن مجازهم.

لا ينسى شيئاً.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠]، أي: جهة الأمام وجهة الخلف يعني أستاههم، كنى عنها بالأدبار، وقيل: ظهورهم بمقامع من حديد وهذا نص في أن ملائكة الموت عند قبضها لروح الكافر تضربه بما ذكر ونقول له ما ذكر، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه، واختلفوا في وقت هذا الضرب، فقيل: يكون عقد الموت تضربهم بسياط من نار، وقيل: هو يوم القيامة حين يسيرون بهم إلى النار.

وقال ابن جريج: يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٥]، أي: للنار توقد عليها وهي ذات حمى وحر شديد، وخص الثلاثة لأن التألم بكيها أشد لما في داخلها الأعضاء الشريفة، وقيل: ليكون الكي في الجهات الأربع، من قدام وخلف وعن يمين ويسار، وقيل: لأن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال، وقيل غير ذلك مما لا يخلو عن تكلف وبعد.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧]، المراد بالسيئة إما الشرك

أو المعاصي والرهق الغشيان. والذلة الخزي والهوان، والقطع بفتح الطاء جمع قطعة أي: طائفة من الليل، فقبل ظلمة آخر الليل وقال الأخفش سواد الليل.

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر في السنة من خروج عصاة الموحدين. وقال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ أي: فرعون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: مصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار، كما كان يتقدمهم في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود:٩٨]، أي: المدخل المدخول فيه وهو النار ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [هود:٦٠]، أي: طرداً وإبعاداً من الاسم بعدهم يوم القيامة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ۝٩٩﴾ [هود:٩٩]، أي: العون المعان، أو العطاء المعطى.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧]، قال الزجاج: الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً.

قال: وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير، والشهيق آخره[1]، وقيل: الزفير للحمار والشهيق للبغل، وقيل: الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف، وقيل: الزفير إخراج النفس والشهيق ردها، وقيل: الزفير من الصدق والشهيق من الحلق. وقيل: الزفير ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنتفخ

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي في التفسير (٩٨/٩).

منه الأضلاع، والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر، والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه.

وقال الليث: الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ويخرجه، والشهيق أن يخرج ذلك النفس، وهو قريب من قولهم تنفس الصعداء.

واختلف أهل العلم في معنى هذا التوقيت والاستثناء اختلافاً شديداً، لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأبيد عذاب الكفار في النار وعدم انقطاعه عنهم، والكلام على ذلك يطول جداً، فأرجع إلى تفسيرنا «**فتح البيان**» ففيه ما يشفي ويكفي لفهم هذا المقام.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم:٤٩-٥١]، المراد بالمجرمين المشركون. ومعنى مقرنين مشدودين يجعل بعضهم مقروناً مع بعض أي: بحسب مشاركتهم في العقائد، أو قرنوا مع الشياطين أو جعلت أيدهم مقرونة إلى أرجلهم، والمقرن من جمع في القرن، وهو الحبل الذي يربط به، والأصفاد الأغلال والقيود، قاله قتادة.

وقال ابن عباس: الكبول[1]، وعنه يقول في وثاق[2]. وقال سعيد بن

(١) روى الطبري (٢٥٥/١٣) عن ابن زيد قال: السرابيل القمص.

(٢) رواه الطبري (٢٥٥/١٣).

جبير: السلاسل والسرابيل القمص، قاله السدي، وعن ابن زيد مثله واحدهم سربال والمعنى قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرابيل، وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نتن رائحته ووحشة لونه.

وقال جماعة: هو النحاس المذاب[(١)]، وبه قال عمر وابن عباس[(٢)] قال عكرمة: هذا القطران يطلى به حتى يشتعل ناراً، وقال سعيد بن جبير القطر: الصفر، والآن الحار، وعن عكرمة نحوه.

والقطران فيه لغات، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ويطلى به الإبل ليذهب جربها لحدته، وقيل: هو دهن ينحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وعو الهناء، ولو أراد الله المبالغة في إحراقها بغير ذلك لقدر، ولكنه حذرهم بما يعرفون.

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تلقم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» أخرجه مسلم وغيره[(٣)].

ومعنى «**تغشى**» تعلو أي: تضرب النار الوجوه وتخللها، وقلوبهم أيضاً، وخص الوجوه لأنها أشرف ما في البدن، وفيها الحواس المدركة أعاذنا الله منها.

---

(١) رواه الطبري (١٣/٢٥٨).

(٢) رواه الطبري عن قتادة والربيع بن أنس وغيرهم.

(٣) مسلم (٩٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝﴾ [إبراهيم:٤٣-٤٤]، أي: موعد الغاوين فهم يدخلون من أبوابها، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ولكل باب من الأتباع الغواة نصيب وقدر معلوم متميز عن غيره، والجزء بعض الشيء، والمراد به هنا الحزب والطائفة والفريق، وقيل: المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق.

قال ابن جريج: النار سبع دركات، وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، فأعلاها الموحدين والثانية لليهود والثالثة النصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك[1].

والمعنى أن الله تعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء، فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار، قال الخطيب: تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق، وقيل: جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات، فكانت مواردها الأبواب السبعة. ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً، فجعلت

---

(١) نقله ابن كثير (٥٥٣/٢)، وذكر القرطبي في التفسير (٣٠/١٠)، عن الضحاك نحو هذا التقسيم لأهل النار.

أبواب الجنة ثمانية ا.هـ

أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر بل الأولى تفويضها إلى جاعلها سبعة وهو الله سبحانه، إلا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله ﷺ فيجب المصير إليه.

عن علي قال: أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض: فيملى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى يملى كلها[1]، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لجهنم سبعة أبواب: باب منها لمن سل السيف على أمتي**». أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي واستغربه[2]. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في الآية: «**جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله**»، أخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه[3].

وقد وردت في صفة النار وأهوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتي في محلها.

وقال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل:٢٩]، يقال لهم ذلك عند الموت، وقد تقدم ذكر الأبواب، وأن جهنم درجات بعضها فوق بعض، أي: ليدخل كل صنف في الطبقة التي هو موعود بها. وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم في الخزي والغم.

---

(١) رواه الطبري (٣٥/١٤).

(٢) رواه الترمذي (٣١٢٣).

(٣) رواه السهمي في تاريخ جرجان (ص١٨٢)، والخطيب في التاريخ (٢٩/٩). قال الذهبي: منكر جداً.

وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨]، وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين.

الأول: إنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم.

الثاني: إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه. وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر:٤٨].

ولما صح في السنة عن أنس ﷺ قال: «**قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف مشاة وصنف ركباناً وصنف على وجوههم، قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم؟ أما إنهم يبتغون بوجوههم**

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٦٠).

كل حدب وصوب» أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه البيهقي، والحدب: ما ارتفع الأرض[1].

وفي الباب أحاديث، والأعمى الذي لا يبصر، والأبكم الذي لا ينطق، والأصم الذي لا يسمع، أي: هذه هيئة يبعثون عليها في أقبح صورة وأشنع منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع، مع كونهم مسحوبين على وجوههم. وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع في قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف:٥٣]، وقوله: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝﴾ [الفرقان:١٣].

وقوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝﴾ [الفرقان:١٢]، فالمعنى هنا عميا لا يبصرون ما يسرهم، كما لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون ما يلذ مسامعهم، وقيل: هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون، وقيل يحشرون على ما وصفهم ثم يعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك، ثم من وراء ذلك المكان الذي يأوون إليه كلما سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسعراً وهو التلهب والتوقد أي: فتعود ملتهبة ومتسعرة فإنهم لهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء.

وقد قيل أن في خبوء النار تخفيفاً لعذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٢)، والإمام أحمد (٢/٣٥٤، ٣٦٣)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٢٩)، والطيالسي (٢٥٦٦)، والحديث ضعيف ولم أجده عند أبي داود.

قولـه: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [آل عمران:٨٨]، وأجيـب بـأن المـراد بعـدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبوء والتسعر، وقيل: أنها تخبو من غير تخفيف عنهم من عذابهم، وقيـل: ضعفـت وهـدأت مـن غـير أن يوجد نقصان في إيلامهم لأن الله تعالى لا يفتر عنهم، وقيـل: معنـاه أرادت أن تخبو، وقيل: نضجت جلودهم واحـترقت وأعيـدوا إلى مـا كـانوا عليـه وزيد في سعير النار لتحرقهم أعاذنا الله تعالى منها.

وقـال تعـالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩]. السرادق الذي يمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسـف أي: قطن فهو سرادق فارسي معرب، يقال بيت مسردق، وقـال ابـن الأعرابـي: سـرادقها سـورها، وقـال القتـبي: السـرادق: الحجـرة الـتي تكـون حول الفسطاط[١].

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار علـى تشبيـه مـا يحيطـهم مـن النـار بالسرادق المحيط بمن فيه، قال ابن عبـاس: حـائط مـن نـار، وعـن أبـي سـعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار منـها مسيرة أربعين سنة**»، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم[٢].

---

(١) هذه القطة من الآثار ذكرها القرطبي في تفسيره (٣٩٣/١٠).

(٢) رواه الإمـام أحمـد (٢٩/٣)، والـترمذي (٢٥٨٤)، وأبـو يعلـى (١٣٨٩)، وابـن المبـارك في الزهـد والحاكم (٦٤٣/٤)، والطبري (٢٣٩/١٥) بسند ضعيف.

وعن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن البحر هو من جهنم ثم تلا** ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]» أخرجه أحمد مطولاً ورجاله ثقات قاله في «**مجمع الزوائد**» ورواه البخاري والحاكم وصححه[١].

وإن يطلبوا الإنقاذ من شدة العطش يضربوا ويعذبوا بالحديد المذاب وهو المهل، قال الزجاج: أنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصفر، وقيل: هو دردى الزيت أي: ما بقي في أسفل الإناء ووجه الشبه وجود الثخن والرداءة في كل منهما، وقال أبو عبيدة والأخفش: العكر وكل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس، وقيل: هو ضرب من القطران[٢].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «**قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه**»، أخرجه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث[٣] وعن ابن عباس قال: ماء غليظ كدردى الزيت[٤]، وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهل فدعا بذهب وفضة فأذابه

(١) مرّ تخريجه.

(٢) ذكر هذه الأقوال القرطبي في التفسير (١٠/٢٩٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٨١، ٢٥٨٤، ٣٨٢٢)، والإمام أحمد (٣/٧٠)، وعبد بن حميد (٩٣٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٦)، والطبراني في الأوسط (٣١٣٧)، وابن حبان (٧٤٧٢)، والحاكم (٢/٥٤٤، ٤/٦٤٦) بسند ضعيف، وقد سبق الإشارة إلى الحديث.

(٤) رواه الإمام أحمد (١/٢٢٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٨٩٨٩)، وهنّاد في الزهد (٢٨٣)، والطبري (٢٥/١٣١-١٣٢).

وروى سعيد بن جبير نحوه.

فلما ذاب قال: هذا أشبه شيء بالمهل الذي هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شرابهم أشد حراً من هذا[١].

وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل؟ هو مهل الزيت يعني آخره[٢] وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته، والشي الإنضاج بالنار من غير إحراق، وقوله «**مرتفقاً**» أي: متكأ، وقيل: مجلساً ومنزلاً، وقيل: مجتمعاً به قال مجاهد[٣].

وقال تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف:٥٣]، أي: عاينوها من مسيرة أربعين عاماً وأيقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والموافقة المخالطة بالوقوع فيها، وقيل: إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلاً يعدلون إليه وانصرافاً لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب، وقيل: ملجأ يلجؤون إليه، والمعنى متقارب.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩٠٨٢)، وهنّاد في الزهد (٢٨٢)، والطبري (١٣٢/٢٥).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣١٥)، ومحمد بن جرير في التفسير (١٣٢/٢٥).

(٣) رواه الطبري عن مجاهد (٢٤١/١٥)، قال: مجتمعاً.

وعزاه السيوطي (٥٣٣/٩) لابن أبي حاتم وابن المنذر.

وروي عن قتادة قال: منزلاً، رواه ابن أبي حاتم، وروي عن السدي، قال: عليها يرتفقون على الحميم حين يشربون والارتفاق هو المتكأ.

رواها ابن أبي حاتم أيضاً، ذكره ذلك السيوطي (٥٣٣/٩).

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف:٩٩-١٠٦].

الصور القرن والنفخ فيه للبعث وهي النفخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد تلاشي أبدانهم ومصيرها تراباً ويكون جمعاً تاماً على أكمل صفة وأبدع هيئة وأعجب أسلوب في صعيد واحد وفي عرض جهنم لهم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة والغطاء الغشاء والستر وهو ما غطى الشيء وستره من جميع الجوانب، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلبة الشقاوة عليهم ولشدة عداوتهم لهما والحسبان الظن، والنزل الذي يعد للضيف وفيه تهكم بهم كقوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الإنشقاق:٢٤].

قال ابن الأعرابي: تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أي: قدر لخسته ويوصف الرجل بأنه لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقلة تثبته. والمعنى أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم**

السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً». أخرجه البخاري ومسلم[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٦٨-٧١]، المعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم في سلسلة ثم نحضرهم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جاثين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة المحاسبة ثم تنزعن من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار، قال الزمخشري: الشيعة هي الطائفة التي شاعت أي: تبعت غاوياً من الغواة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، انتهى.

يعني ينزع من كل طوائف الغي كالروافض والخوارج والنواصب والمقلدة لآراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصاهم وأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم وهم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار، وما من أحد مسلماً كان أو كافراً إلا وصاليها وداخلها ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ [طه:١٠٠]، وهذه أخوف آية.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

وقال تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ [طه:١٠٠]، أي: إثماً عظيماً وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه:١٠١-١٠٢]، المراد بالمجرمين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم والزرقة الخضرة في العين كعين السنور.

والعرب تتشاءم بها لأن الروم كانوا أعدى عدوهم وهم زرق وهي أسوء ألوان العين وأبغضها إلى العرب، وقال الفراء: زرقاً أي: عمياً، وقال الأزهري: عطاشا وهو قول الزجاج، وقيل: إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبه الخيبة، وقيل: هو كناية عن شخوص البصر من شدة الحرص، والقول الأول أولى. والجمع بين هذه الآية وبين الآية السابقة ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، ما قيل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم، فيكونون في حال زرقا، وفي حال عميا[1].

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٩-١٠٠]، وفي هذا تبكيت لعباد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أرباباً، والزفير هو صوت نفس المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والعويل، ولا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول. قال ابن مسعود في الآية: إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت

---

(١) ذكره القرطبي (٢٤٤/١١).

تلك التوابيت في توابيت أخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره[١]، وقيل: لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون صما، وإنما سلبوا السماع؛ لأن فيه بعض تروح وتأنس، وقيل: لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون ما يسوءهم.

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج:١٩-٢٢]، أي: قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها، شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع ثياب لهم، وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض. وقيل: إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار، وهي السرابيل المذكورة في آية أخرى، قاله سعيد بن جبير وزاد لبس من الآنية إذا حمى أشد حراً منه.

والحق إجراء النظم القرآني على ظاهره ولا نرتضي تأويله بما يخالف ظاهر لفظه، وواضح معناه، والحميم الماء الحار المغلي بنار جهنم انتهت حرارته يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم.

عن أبي هريرة ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه ابن جرير (٩٥/١٧)، وابن أبي حاتم (١٩٨/٣-كثير)، والطبراني في الكبير (٢٢٤/٩).

«إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان» أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم[١].

وقال ابن عباس: يمشون وأمعاؤهم تتساقط، وعنه قال: يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون، والمقمعة المطرقة وقيل: السوط، وسميت بالمقامع لأنها تقمع المضروب، أي: تذلله.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن الرسول ﷺ قال: **«لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان»** أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقي[٢].

وعن سلمان قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهيبها ولا جمرها، ثم قرأ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ﴾ [الحج:٢٢]، الآية[٣]، والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا إنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها، وقيل لهم ذوقوا عذاب الحرق الغليظ المنتشر العظم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٢)، والإمام أحمد في مسنده (٣٧٤/٢)، وابنه في زوائد الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٣)، والطبري (١٣٤/١٧)، وأبو نعيم (١٨٢/٨)، والحاكم (٤١٩/٢)، من طريق أبو السمح عن أبي حجيرة عن أبي هريرة ولا يصلح هذا الإسناد.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٩/١٣)، وأبو يعلى (١٣٨٨)، والحاكم (٦٤٢/٤)، بسند ضعيف.

(٣) رواه الطبري (١٣٥/١٧)، والحاكم (٤٢٠/٢)، وابن أبي شيبة (٣٤١٢٠)، وهنّاد في الزهد (٢٤٨)، وكذا ابن المبارك (٣١٠).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحج:٥١]، أي: اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا: القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو للتلاوة دون العمل ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله ويفوتوه، وقيل: معاندين أو مراغمين ومشاقين، فهم أصحاب النار الموقدة.

وقال تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، أي: اسكتوا في جهنم سكوت هوان ولا تكلمون رأساً، أو في إخراجكم من النار أو في رفع العذاب عنكم. قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان:١١-١٢]، أي: إذا رأتهم وهي بعيدة عنهم، قيل بينها وبينهم مسيرة مائة عام وقيل خمسمائة عام، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل بار وفاجر؛ فترى تزفر زفرة لا تبقي قطرة من دمع إلا بدت، ثم تزفر الثانية فتخلع القلوب من أماكنها وتبلغ القلوب الحناجر وعن رجل من الصحابة قال: قال النبي ﷺ: «**من يقل على ما لم أقل أو ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه فيلتبوأ بين عيني جهنم مقعداً قيل: يا رسول الله وهل لها من عينين، قال: نعم أما سمعتم أنه يقول** ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]». أخرجه عبد بن حميد وابن جرير من طريق خالد بن دريك ونحوه عند رزين في كتابه وصححه ابن العربي في

قبسه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة[١].

قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان ينظران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاث: كل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين**» وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح[٢] والتغيظ الغليان إذا غلا صدره من الغضب يعني أن لها صوتاً يدل على التغيظ على الكفار أو لغليانها صوت يشبه صوت المغتاظ، وتقدم الكلام على زفير.

---

(١) رواه ابن جرير (١٨٧/١٨)، والخطيب في الكفاية (ص٢٠٠)، وابن أبي حاتم في التفسير (٣/٣١١-كثير).

ورواه الطبراني في الكبير (٧٥٩٩)، والحاكم في المدخل (ص٩٦)، وأبو نعيم في المستخرج (٣٣)، من طريق محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص بن حكيم عن مكحول عن أبي أُمامة، والأحوص ضعيف.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٧٤)، والإمام أحمد (٣٣٦/٢)، من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

أما حديث أبو سعيد: فرواه أحمد (٤٠/٣)، وأبو يعلى (١١٤٦)، وعبد بن حميد (٣٩٦)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (٣٥٦/٣، ٣٥٧)، والبزار (٣٥٠٠)، والطبراني في الأوسط (٣١٨)، (٣٩٨١)، والخطيب في التاريخ (١١/١٢) وفي التلخيص (٤٦٧/٢).

وابن أبي شيبة (٣٤١٤١) من طرق عن أبي سعيد:

• ورواه الإمام أحمد (١١٠/٦)، من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة ﵂ مرفوعاً.

وهذا إسناد ضعيف.

وفي الباب عن ابن عباس للحديث روايات موقوفة قال ابن كثير الدمشقي في التفسير (٣١٢/٣)، قال ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث.

ثم وجدته عند ابن أبي حاتم (١٥٠٠٥، ٢٦٦٨/٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان:١٣-١٤].

عن يحيى بن أبي أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: **«والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط»**(١) وعن ابن عباس: أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح، والثبور الهلاك والمراد بهذا الجواب عليهم: الدلالة على خلود عذابهم وإقناطهم عن حصول ما يتمنوه من الهلاك المنجي لهم مما هو فيه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن أول ما يكسى حلته من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبوراه ويقولون يا ثبور حتى يقف على الناس فيقول يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً»**(٢).

وقال تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾ [الشعراء:٩٤]، أي: ألقوا في جهنم على رؤوسهم وقيل: قلبوا على رؤوسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٥٠٠٦) (٢٦٦٨/٨)، عن قتادة و(١٥٠٠٧) عن عبدالله بن عمرو.
قال: وروي عن يحيى بن الجزار عن مجاهد نحو ذلك لكن رواه المحاملي في الأمالي (٥٠٨)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٦٣) عن يحيى من قوله: والهرج ألزج الحديدة أسفل الرمح.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٥٢/٣، ٢٤٩)، والطبري (١٨٨/١٨)، وابن أبي شيبة (٣٤١٦٨، ٣٥٩٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٥/٦-٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٣١٢/٣-كثير)، والخطيب في تاريخه (٢٥٣/١١)، والحديث ضعيف في إسناده علي بن زيد بن جدعان.

جمعوا، قاله ابن عباس، وقيل: طرحوا وقيل: نكسوا ﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ [الشعراء:٩٤]، أي: المعبودون والعابدون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء:٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣]، هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه، وإنما قضى عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب:٦٦]، يعني تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن، أو تغير ألوانهم بلفح النار فتسود تارة وتخضر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى، وخص الوجه لأنه أكرم موضع من الإنسان أو يكون الوجه عبارة عن الجملة.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ:٣٣]، أي: جعلت الأغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار.

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر:٣٧]، من الصراخ وهو الصياح، أي: وهم يستغيثون في النار رافعين أصواتهم، والصارخ المستغيث، وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٣-٦٥]، أي: توعدون بها في الدنيا على ألسنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها.

قال المفسرون: إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل فيختم الله على أفواههم ختماً لا يقدرون معه على الكلام، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه، وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم.

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبزار وغيرهم عن أنس في الآية قال: «**كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، قال أتدرون مما ضحكت؟ قلنا لا يا رسول الله، قال من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى، فيقول إني لا أجيز علي إلا شاهداً مني، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً، فعنكنّ كنت أناضل**»[1].

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يلقى العبد ربه فيقول الله: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول: بلى أي: رب، فيقول أفظننت إنك ملاقي، فيقول: لا، فيقال: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي،**

---

(١) مسلم (٢٩٦٩).

فتنطق فخذه وفمه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه»[١].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى ونحوه.

قال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ۝٦٨﴾ [الصافات:٦٢-٦٨].

قال الواحدي: الزقوم شيء مر كريه يكره أهل النار على تناوله فهم يتزقمونهم فهي على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها. قال قطرب: إنها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة من أخبث الشجر[٢]. وقال غيره: بلى هو كل نبات قاتل[٣]، وقيل: شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات جعلها الله محنة لهم لكونهم يعذبون بها، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصي الموجبة للنار، وهذه الشجرة تنبت في قعر النار وأسفلها وأغصانها ترفع إلى دركاتها.

وعن ابن عباس قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الأرض لأفسدت على الناس معايشهم[٤]، وتمرها وما تحمله في تناهي قبحه وهوله

---

(١) مسلم (٢٩٦٨).

(٢) ذكره القرطبي (٨٥/١٥).

(٣) ذكره القرطبي (٨٥/١٥).

(٤) روى الترمذي (٢٥٨٥)، من طريق شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس هذا الحديث مرفوعاً.

وشناعة منظره مثل رءوس الشيـاطين، قـال الزجـاج والفـراء: الشيـاطين[١] حيات هائلة لها رؤوس وأطراف وهي من أقبح الحيـات وأخبثـها وأخفـها جسماً، وقيل هو شجر خشن منتن من منكر الصـورة يسـمى ثمـرة رؤوس الشياطين، والشوب الخلط والمزج، والحميم الماء الحار، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]، وقيـل: أن الزقـوم الحميـم نزل يقدم إليهم قبل دخولها أعاذنا الله تعـالى وإخواننـا المؤمنـين مـن هـذا الطعام والشراب.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧]، تقدم تفسير الحميم مراراً، والغساق ما سال من جلود أهـل النـار مـن القيـح ومـن الصديـد، والغسقان الانصباب وقيل: هو ما قتل برده، وقيل: هو الزمهرير وقيل المتن. وقيل: هو عين في جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال قتـادة: هـو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم[٢].

وقال القرظي: هو عصارة أهل النار[٣]. وقال السـدي: هـو الـذي يسـيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد[٤]، وقـال مجـاهد

ورواه أيضاً:

النسائي في الكبرى (١١٠٧٠)، وابن ماجـة (٤٣٢٥)، والإمـام أحمـد (٣٠٠/١، ٣٣٨)، والطيالسـي (٢٦٤٣)، وعنه الطبراني في الصغير (٩١١)، والأوسط (٧٥٢٥)، والكبير (١١٠٦٨)، وابـن حبـان (٧٤٧٤)، والحاكم (٣٢٢/٢، ٤٩٠).

(١) ذكرهما القرطبي (٨٧/١٥).

(٢) ذكره القرطبي (٢٢٢/١٥) وقد تقدم.

(٣) ذكرها القرطبي (٢٢٢/١٥) وهو ما رجّحه القرطبي.

(٤) ذكرها كلها القرطبي (٢٢٢/١٥).

ومقاتل: هو الثلج البارد الذي انتهى برده[١]، وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم.

وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن دلوا من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**». قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين هذا فيه مقال معروف[٢] ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٨]، أي: وعذاب آخر أو مذوق آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل أو مذوقات أخر وأنواع أخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم. ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه ونظائر، قال المفسرون: هو الزمهرير.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ [ص:٥٩]، أي: الأتباع داخلون معكم إلى النار بشدة، والاقتحام الإلقاء في الشيء بشدة. فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع، وقيل: الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها.

وروى قول السدي الطبري محمد بن جرير في التفسير (١٧٧/٢٣).

(١) ذكره القرطبي (٢٢٢/١٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٤)، والإمام أحمد (٢٨/٣، ٨٣)، وأبو يعلى (١٣٨١)، والطبري في التفسير (١٧٨/٢٣)، (١٤/٣٠)، والحاكم (٦٤٤/٤)، والبيهقي في البعث (٥٦٦) والحديث ضعيف وهو ما أشار إليه المؤلف.

وفي «المختار»[١] قحم في الأمر رمى بنفسه فيه من غير رويّة ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ [ص:٥٩]، أي: لا اتسعت منازلهم في النار، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم، وهذا إخبار من الله تعالى بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التي كانت بينهم تصير عداوة ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [ص:٥٩]، أي: كما صليناها ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ [ص:٦٠]، أي: قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة، بل أنتم أحق بما قلتم لنا، ثم عللوا ذلك بقولهم ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ [ص:٦٠]، أي: العذاب أو الصلي وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص:٦٠]، أي: بئس المقر جهنم لنا ولكم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [ص:٦١-٦٢]، أي: الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [ص:٦٣]، في الدنيا فأخطأنا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص:٦٣]، فلم نعلم مكانهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما تقدم من حكاية حالهم ﴿لَحَقٌّ﴾ واقع ثابت في الدار الآخرة لا يتخلف البتة ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص:٦٤].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦]، أي: أطباق من النار وفراش ومهاد وسرادقات وقطع كبار من النار تتلهب عليهم، وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من الحر

(١) يقصد مختار الصحاح للرازي.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر:٤٧-٤٨]، وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها، قال سفيان الثوري: ويل لأهل الرياء. ويل لأهل الرياء. ويل لأهل الرياء، هذه آياتهم وقصتهم[(١)].

وقال تعالى: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠]، أي: لما أحاط بهم من العذاب، ولما شهدوه من غضب الله ونقمته.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: أبواب النار ليدخلوها ويه سبعة أبواب، وكانت قبل ذلك مغلقة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر:٧١]، قيل: أي: لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل:٢٩]، جهنم واللام فيه للجنس.

وقال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، أي: صباحاً ومساءً، وعرضهم عليها إحراقهم بها.

عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض**

---

(١) ذكره القرطبي (١٥/٢٦٥).

عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» أخرجه الشيخان وغيرهما. وزاد ابن مردويه «**ثم قرأ** ﴿ٱلنَّارُ﴾ **الآية**»[١].

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه[٢] وقال القرطبي إن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها[٣].

وذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ[٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: من الأمم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعاً ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٤٩]، وهم القائمون بتعذيب أهل النار، وإنما لم يقل لخزنتها، لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً أو لبيان محلهم فيها، فإن جهنم هي أبعد النار قعراً وفيها أعتى الكفار وأطغاهم، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار لطلب الدعوة منهم ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟

(١) تقدم ذكره.

(٢) هذا ما ذكره القرطبي في التفسير (١٥/٣١٨-٣١٩)، وعدَّ منهم مجاهد ومقاتل وعكرمة والقرطبي.

(٣) ذكره القرطبي (١٥/٣١٩).

(٤) قاله القرطبي (١٥/٣١٨).

فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:٥٠]، أي: في ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقناط لهم عن الإجابة.

وقال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝ فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ [غافر:٧٠-٧٢]، قال ابن عباس: فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلداً آخر ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ [غافر:٧٢].

عن ابن عمرو قال: تلى رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: «**لو أن رصاصة مثل هذه -وأشار إلى جمجمة- أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها، أو قال قعرها**». أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والحكام وصححه وابن مردويه والبيهقي في «**البعث والنشور**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]، أي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في

---

(١) رواه الترمذي (٨٦٥٦)، والإمام أحمد (١٩٧/٢)، وابنه في زيادات الزهد (١٩) وكذا ابن المبارك (٢٩٠) وعنه الطبري (٦٤/٢٩)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٦٤)، والطبراني في الكبير (١٦٢)، والحاكم (٤٧٦/٢)، والبيهقي في البعث (٥٢٩).
قال ابن رجب في «**التخويف من النار**»: غريب وفي رفعه نظر.

الدنيا من المعاصي، وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال:

أولها: إن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه.

ثانيها: أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني.

ثالثها: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت:٢١-٢٤]، أي: إن يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لابد لهم النار، وتمام الكلام على هذه الآية في تفسيرنا «**فتح البيان**».

وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى:٧]، عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان**» قلنا: لا. إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال: للذي في يده اليمنى **هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.**

ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي: عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي: عمل قال رسول الله ﷺ: «**بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير**».

أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وأحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه[1]، وروى ابن جرير طرفاً منه موقوفاً على ابن عمرو قال هذا الموقوف أشبه بالصواب: قال الشوكاني: (بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتاب ينظر فيه قالوا: انظروا إليه كيف وهو أمي لا يقرأ؟ قال فعلمه رسول الله ﷺ فقال: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال:** ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى:٧]، **فرغ ربكم من أعمال العباد**»). انتهى.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي (٢١٤١)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٨)، وابن وهب في القدر (١٣)، وكذا الفريابي (٤٥)، وابن بطة في الإبانة (١٣٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/٥)، من طريق حبيب بن هانئ عن شفي بن ماتع عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً، والحديث صحيح. ورواه ابن جرير (٩/٢٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

قلت: وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥]، أي: آيسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: بالموت ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٧]، أي: مقيمون في العذاب، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك، قال الخازن سكت عن إجابتهم أربعين سنة انتهى، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كألف سنة بما تعدون، قاله القرطبي: وقيل: ثمانين سنة، وقيل: مائة سنة، وقال ابن عباس: يمكث عنهم ألف سنة[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان:٤٣-٤٩]، تقدم تفسير مثل هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الجاثية:٧]، الإثم أي: لكل كذاب كثير مرتكب لما يوجبه، وويل واد في جهنم أو كلمة عذاب[2].

---

(١) في ذلك أقوال:

فروي عن الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وإجابة مالك لهم ألف عام، وروي نحوه عند ابن عباس وروي عن عبدالله بن عمرو قال: خلى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم.

وراجع التفصيل في أقوال أهل التفسير كتاب التخويف من النار فقد خرجنا كل هذه الروايات وغيرها هناك (ص٢٠٠-٢٠٤).

(٢) وقد أتى ابن رجب في كتابه على ذكر أودية النار وقيعانها.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف:٢٠]، عرض الشخص على النار أشد في إهانته من عرض النار عليه إذ عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المخلوق للاحتراق، وقيل في الكلام قلب أن تعرض النار عليهم، ومعنى يعرض يعذب، والهون ما فيه ذل وخزي، وما أخوف هذه الآية في شأن المترفين المتكبرين عن عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي والمستمتعين باللذات الفانية من المناكح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأحقاف:٣٤]، والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار، وفي الاكتفاء بمجرد الإشارة من التهويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه.

وقال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥]، أي: مصارينهم فخرجت من أدبارهم لفرط حرارته، وقال تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦]، وهذا إخبار عن وقوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تعلو كلمة الإسلام.

وقال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ

﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق:٢٤-٢٩]، الخطاب للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره، والمعنى كفار للنعم مجانب للإيمان معادٍ لأهله، ولا يبذل خيراً ولا يؤدي زكاة مفروضة أو كل حق وجب عليه في ماله، ظالم لا يقر بتوحيد الله شاك في الحق، وفيها نهي عن الاختصام في مواقف الحساب ونفي الظلم عن الله تعالى على العباد، ولا مفهوم لقوله ظلام.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:٣٠]، جعله الزمخشري ومن تبعه من باب المجاز وهو مردود لما ورد: «**تحاجت النار والجنة واشتكت إلى ربها**». قال النسفي: هذا على تحقيق القول من جهنم.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال جهنم تلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في فضول الجنة**» أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم[1]، وأخرجا من حديث أبي هريرة نحوه وفيه: «**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله ويقول لها قط قط**» وفي الباب أحاديث،

(١) رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

ومذهب جمهور السلف الإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات:١٣]، أي: يحرقون ويعذّبون فيها، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والإحراق، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر:٤٧-٤٨]، أي: في ذهاب عن الحق وبعد عنه، وفي نار تسعر عليهم، وسقر علم لجهنم غير منصرف ومسها مقاساة حرها وشدة عذابها.

وقال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن:٤١]، المعنى أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار، قال الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره[١]، وقيل: تسحبهم الملائكة تارة إلى النار بأخذ النواصي وتارة تجرهم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم، وتارة تجرهم على رؤوسهم[٢]، قال ابن عباس: تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور[٣].

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي: بين جهنم فتحرقهم ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ

---

(١) رواه هنّاد (٢٦٨)، وذكره القرطبي (١٧٥/١٧)، وابن كثير (٢٧٦/٤).

(٢) ذكره القرطبي (١٧٥/١٧).

(٣) أورده ابن كثير (٢٧٦/٤).

ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن:٤٤]، أي: فيصيب وجوههم فيحرقون، والآن الذي قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل: هو واد من أودية جهنّم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلالهم حتى تنخلع أوصالهم[١]، قال قتادة: يطوفون أي: يترددون ويسعون مرة في الحميم ومرة بين الجحيم.

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة:٤١-٤٥]، السموم حر النار وتقدم تفسير الحميم مراراً واليحموم الشديد السواد[٢]، والمعنى أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم[٣] شديد السواد قال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود كل ما فيها أسود، قال ابن عباس: يحموم دخان أسود، وفي لفظ دخان جهنم، وقيل: واد في جهنّم، وقيل: اسم من أسمائها والأول أظهر.

والنعتان لقوله ظل، لا ليحموم وهذا الظل أشجى لحلوقهم وأشد لتحسرهم، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً وفيها ذم الترفه لأنه منعهم من الانزجار، وشغلهم عن الاعتبار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

---

(١) ذكره القرطبي (١٧/١٧٥-١٧٦) عن كعب الأحبار.

(٢) ذكره القرطبي (١٧/٢١٣).

(٣) أورده الفريابي كما في الفتح (٨/٦٢٦)، والتغليق (٤/٣٣٤-٣٣٥) عن مجاهد.

فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝﴾ [الواقعة:٥٠-٥٥]، وتقدم تفسير هذه الآية، والهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

وفي الصحاح الهيام: أشد العطش[1]، والنزل: الرزق والغذاء وفي هذا تهكم بهم لأن النزل هو ما يعد للأضياف تكرمة لهم، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [الإنشقاق:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ [الواقعة:٩٢-٩٥]، أي: محضة وخالصة، والمعنى واضح.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: في الفضل والمرتبة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝﴾ [الحشر:٢٠]، أي: الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه، وهذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الدائم الأليم مع أصحاب النار، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه.

وقال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ

---

(١) ذكره القرطبي (٢١٥/١٧).

فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك:٧-١١].

المعنى: إذا طرحوا طرح الحطب في النار سمعوا لها صوتا منكرا، كصوت الحمير عند أول نهيقها وهي تغلي غليان المرجل بما فيه، تكاد تتقطع من الغيظ على الكفار، وكلما ألقي في جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر في الآية.

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة:٣٠-٣٧]، قال المفسرون: السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة، والله أعلم بأي ذراع هي، وقيل: بذراع الملك قال نوف الشامي: كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة، وكان نوف في رحب الكوفة[١] قال مقاتل: لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص[٢] وقال ابن جريج: لا يعرف قدرها إلا الله، وهذا العدد حقيقة أو مبالغة قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه[٣].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٥٩، ١٣٨)، والطبري في التفسير (٦٣/٢٩)، وابن المبارك في الزهد (٢٨٨)، وكذلك هناد (٢٦٩) وأبو نعيم في الحلية.

(٢) روي عن الحسن أنه قال: لو أن رغلا منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود ولو أن ذراعا من السلسلة وضع على جبل لرضه، ذكره ابن رجب في «**التخويف من النار**» (ص١٣١).

(٣) رواه ابن المبارك في «**الزهد**» (٨٤)، وابن أبي الدنيا في «**صفة النار**» (٧٢).

وقال سويد بن أبي نجيح: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، والغسلين: صديد أهل النار وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد وقال أهل اللغة: هو ما يجري من الجراح إذا ماغسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس: هو شجر يأكله أهل النار، وقال قتادة: هو ثمر الطعام وقال ابن زيد: لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم إلا الله تعالى[(١)].

وقال ابن عباس: الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم[(٢)]، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**» أخرجه الحاكم وصححه[(٣)] وعن ابن عباس أيضاً: الغسلين اسم طعام من أطعمة أهل النار.

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله إلا من ضريع وقوله الزقوم وقوله ما يأكلون في بطونهم إلا النار. أنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات. فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار، لكل منهم جزء مقسوم.

وقال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي (١٨/٢٧٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا (٤/٤١٧-كثير).

(٣) رواه الحاكم (٢/٥٤٤، ٤/٦٤٤)، والترمذي (٢٥٨٤)، والإمام أحمد (٣/٢٨، ٨٣)، وأبو يعلى (١٣٨١) بسند ضعيف.

﴿١٨﴾ [المعارج:١١-١٨]. لظى: علم لجهنم وهو التلهّب، وقيل: هي الدركة الثانية من طباق جهنم، والشوى: الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه.

قال قتادة: تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئاً[1]. وقال الكسائي: هي المفاصل، وقال أبو صالح: هي أطراف اليدين والرجلين، وقال ابن عباس: تنزع أم الرأس[2]، وفي هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ولم ينفقه في سبيل الخير، ولم يؤد زكاته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل:١٢-١٣]، جمع نكل وهو القيد وقيل: الغل من الحديد والأول أعرف في اللغة، قال مقاتل: هي أنواع العذاب الشديد وطعام لا يسوغ في الحلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قيل هو الزقوم، وقيل: الضريع، وقيل: شوك العوسج، والغصة الشنجى في الحلق.

وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر:٢٦-٣١]. السقر النار أو من أسمائها أو دركة منها، لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً، أو لا تبقي من فيها حياً ولا تذره ميتاً، تظهر لهم وتلوح حتى يروها عياناً كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات:٣٦]. وقيل: لواحة مغيرة لهم ومسودة وهذا

---

(١) رواه الطبري (٢٩/٧٧).

(٢) رواه الطبري (٢٩/٧٦).

أرجح من الأول وإليه ذهب جمهور المفسرين وقيل: معطشه.

وقال ابن عباس: تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه: محرقة والمراد بالبشر إما جلدة الإنسان الظاهرة كما قاله الأكثر أو المراد به أهل النار من الإنس كما قال الأخفش، وعلى النار تسعة عشر من الملائكة خزنتها أو من أصناف الملائكة أو من صفوفهم، وقيل تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأولى أولى.

قال الرازي: وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها.

وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر:٤١-٤٦]، والصحيح: أن هذه الآية في الكفار، قاله سليمان الجمل.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان:٤]، تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة، وعن يعلى بن منية وهي أمه، وأبوه أمية رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: «**ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أي: شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون ربنا الشراب فتمطرهم أغلالاً يزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم، وجمراً تلهب عليهم**» رواه الطبراني في الأوسط قال في «**مجمع الزوائد**» وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه[١].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤١٠٣)، وعزاه ابن رجب لابن أبي حاتم أيضاً. والهيثمي في المجمع (١٠/٣٩٠).

وقال تعالى: ﴿انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات:٣٠-٣٦]، أي: يقول لهم خزنة جهنّم: انطلقوا إلى ظل من دخان جهنّم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب، وهذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب شعباً وقيل: المراد بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم، وهو الظل من يحموم، وقيل: إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لأنها أوصاف النار وكل شررة منها كالقصر في عظمها، ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو الجبال[1].

قال ابن مسعود ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾ [النبأ:٢١-٢٦]، أي: جهنم موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذّبوهم فيها أو هي في نفسها متطلعة لما يأتي إليها من الكفار، والأحقاب الدهور جمع حقب قال الواحدي: قال المفسّرون: إنه بضع

(١) نحو هذا الكلام عند القرطبي (١٩/١٦٢-١٦٣).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط كما في الفتح (٨/٦٨٨)، والهيثمي في الزوائد (٧/١٣٢).

وثمانون سنة، السنة ثلاثمائة وستون يوماً اليوم ألف سنة من أيام الدنيا، وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة عند الطبراني وغيره وسنده ضعيف قاله السيوطي، وفي الباب أحاديث ذكرناها في «**فتح البيان**».

والمقصود بالآية التأبيد لا التقييد، قال الحسن: والله ما هي إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر كذلك إلى الأبد.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات:٣٧-٣٩]، أي: أنها منزله الذي ينزله لا غيرها.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنشقاق:١٠-١٢]، أي: ينادي هلاكه ويدخل النار ويقاسي حرها وشدتها.

وقال تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية:٤]، أي: متناهية في الحر ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية:٥]، إلى انتهى حرها، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية:٦]، هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق في لسان قريش إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع، قيل: وهو سم قاتل[1]. وقيل: هو الحجارة. وقيل: الشجرة في نار جهنّم، وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون عنده ويذلون[2]، وقيل: هو الزقوم[3]، وقيل: وادٍ

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي (٢٠/٢٩).
(٢) ذكره القرطبي (٢٠/٣٠).
(٣) هو قول عن الحسن نقله عنه القرطبي (٢٠/٣٠).

في جهنم[1] وقال الحسن: هو بعض ما أخفاه الله من العذاب[2] ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية:٧]، أي: كلاهما منفيان عنه.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين:٥]، قال مجاهد وأبو العالية والحسن: المعنى ثم رددنا الكافر وذاك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض فالكافر يرد إلى أسفل الدرجات السافلة، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الأسفل.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة:٦]، وظاهر الآية العموم وقيل هم الذين عاصروا الرسول ﷺ والأول أولى، وشر أفعل تفضيل، وفي هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [النازعات:٨-١١]، أي: فمسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، والهاوية من أسماء جهنّم وسميت بها لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإذا كان مات ولم يأتهم

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٣٠).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٣٠).

قالوا خولف به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربيــة» أخرجـه ابـن مردويه وأخرج من حديث أبي أيوب الأنصاري نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً[١].

وقال تعــالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾ [التكاثر:٧]، وهـي المشـاهدة والمعاينة قيل هو إخبار عن دوام بقائهم في النار أي: هي رؤية دائمة متصلة وقيل: المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيـا لـترون الجحيـم بعيون قلوبكم وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها[٢].

وقـال تعــالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝﴾ [الهمزة:٣-٨]، والمعنـى ليطرحـنّ في النـار وليلقـينّ فيــها وسميت حطمة لأنها تحطم كل ما يلقـى فيـها وتهشّمـه، قيـل هـي الطبقـة السادسة من طبقات جـهنّم[٣] وقيـل: الطبقـة الثانيـة[٤]، وقيـل: الرابعـة[٥]، وهذه النار يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الأفئـدة مـع

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٤٣)، وابن عدي (٣٠١/٣)، ومـن طريقـه ابـن الجـوزي في العلـل (١٥٢٢)، والطـبراني في الأوسـط (١٤٨)، وفي مسـند الشـاميين (١٥٤٤)، وفي الكبـير (٣٨٨٧، ٤٨٨٧) من طرق عن أبي أيوب الأنصاري، ورواه الحاكم (٥٨١/٢) عن الحسن مرسلاً.

(٢) ذكره القرطبي (١٧٤/٢٠).

(٣) ذكره القرطبي (١٨٤/٢٠) نقله عن الضحاك.

(٤) ذكره القرطبي (١٨٤/٢٠) نقله عن الضحاك.

(٥) ذكره القرطبي (١٨٤/٢٠) نقله عن الضحاك.

كونها تغش جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة، أو لكونه إذا وصل إليها مات صاحبها أي: أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون، وقيل: المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم مطبقة مغلقة وهم موثوقون في عمد ممدة.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح[1]، ومعنى ممدة مطولة، وقيل: العمد أغلال في جهنم. وقيل: قيود.

وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد:١-٣]، أي: سيصلى هو بنفسه ناراً ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم أجارنا الله منها برحمته وكرمه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وهذا آخر الآيات الكريمات الواردة في أحوال جهنم وأهوال النار وذكر أصحابها وبقيت آيات مكررة جاءت في ذلك ولا حاجة تدعو إلى إيارادها في هذا الكتاب المبني على الاختصار.

قال القرطبي في التذكرة (أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهوالها وأسمائها) انتهى ثم ذكر ذلك في أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت في هذه الأبواب فها أنا أحذو حذوه في تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف لما تكرر وتقدم في بابي الآيات مع الإشارة إليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله الاعتصام.

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار (ص٩١).

باب
ما جاء في أن النار لما
خلقت فزعت منها الملائكة حتى طارت أفئدتها

عن محمد بن المنكدر قال: «لما خلقت النار فزعت الملائكة وطارت أفئدتها فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون»، أخرجه ابن المبارك[(١)]، وقال ميمون بن مهران: «لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة لم يبق في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه، فقال لهم الجبار جل جلاله: ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي، فقالوا: ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء:٢٨]، فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهي عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله.

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم النار أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه»، رواه الدارمي[(٢)].

---

(١) في الزهد (٣٢١) وأبو نعيم في الحلية (١٥٠/٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٦٨/٤، ٢٧٢)، وفي الزهد (ص١١٥)، والطيالسي (٧٩٢)، والدارمي (٢٨١٢)، وهنّاد في الزهد (٢٣٩)، والبزار (٣٢١٤) والحديث صحيح.

وعن يزيد بن سورة قال[(١)]: «**رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت أبا الوليد ما يبكيك قال هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيه جهنّم**»، رواه الطبراني قال في «**مجمع الزوائد**» ويزيد لم أعرفه وفيه ضعفاء قد وثقوا[(٢)].

وعن عمر: أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ حزيناً لا يرفع رأسه فقال له رسول الله ﷺ: «**مالي أراك يا جبريل حزيناً؟! قال: إني رأيت لفحة من جهنّم فلم ترجع إلي روحي بعد**»، رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن خلف وهو ضعيف[(٣)].

وعن عمر بن الخطاب قال: «**جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال: يا جبريل مالي أراك متغير اللون؟ فقال: ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح**

---

(١) هكذا قال وهو خطأ والصواب زياد بن أبي سودة، ويبدو أن الخطأ قديم إذ نقل الهيثمي أنه يزيد ولم يعرفه.

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣٤٢، ٣٤٣)، وابن حبان في الثقات (٤/٢٦٠)، والمقدسي في فضائل بيت المقدس (٨)، من حديث سعد بن عبدالعزيز عن عثمان بن أبي سودة وزياد بن أبي سودة عن عبادة بن الصامت مرفوعاً، وكلام الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٦) سعيد بن عبدالعزيز اختلط بآخره.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٤٠)، من حديث محمد بن علي بن خلف العطار ثنا محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي حدثني أبي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر مرفوعاً. والعطار عنده عجائب.

النار فقال: رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي النار وانعت لي جهنّم، فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة لا تضيء شررها ولا يطفئ لهيبها والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنّم لمات من في الأرض كلهم جميعاً من حره، والذي بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنّم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى.

فقال رسول الله ﷺ: حسبي يا جبريل لا يتصدع قلبي فأموت، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال: تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت فيه فقال: ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلّي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدري لعلّي أُبتلى بما ابتُلِيَ به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلّي أُبتلى بما ابتُلِيَ به هاروت وماروت قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نودي أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل أمِنكما أن تعصياه فارتفع جبريل».

وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال: أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما استسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى

الله عز وجل فنودي: يا محمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسّراً ولم أبعثك معسّراً، فقال رسول الله ﷺ «**سدّدوا وقاربوا**» رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه، كذا قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**»[1].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٨٣)، وفي سنده سلام الطويل وهو ضعيف والأجلح بن عبدالله سنان تكلم عليه.

باب
ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه إسرافيل فلما سلما على النبي ﷺ فإذا إسرافيل منكسر الطرف فقال النبي ﷺ يا جبريل مالِ إسرافيل منكسر الطرف متغير اللون قال لاحت له آنفاً حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذي يرى كسر طرفه»، رواه ابن وهب(١).

وعن محمد بن مطرف عن الثقة أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار فكان يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فلما دخل النبي ﷺ اعتنقه الفتى فخرّ ميتاً فقال النبي ﷺ: «جهّزوا صاحبكم فإن الفزع من النار فَلَذَ كبده» رواه ابن المبارك(٢).

وروي أن عيسى عليه السلام مرّ بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان

---

(١) هذا مرسل.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص٣٩٧)، وابن المبارك في الزهد (٣٢٠)، بسند معضل.

وروه الحاكم في الصحيح (٥٣٦/٢)، وعنه البيهقي في شعب الإيمان (٩٣٦)، عن سهل بن سعد بسند ضعيف.

وتكلم عليه الذهبي انظر لسان الميزان (٣٦٠/١، ٧٣/٥).

وروي الحديث من طريق خازم بن جبلة بن أبي نضرة العبدي عن أبي سنان عن الحسن عن حذيفة مرفوعاً.

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين» والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٢٧/١، ٤٨٤).

قال ابن رجب البغدادي في «التخويف» (ص٥٣-٥٤): والمرسل أصح وخازم بن جبلة قال ابن مخلد الدور الحافظ: لا يكتب حديثه، ذكره ابن حجر في اللسان (٣٧١/٢).

وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام: «ما الـذي غـيّر ألوانكنّ معاشر النسوة؟ قلن: ذِكْر النار غيَّر ألواننا يا ابن مريـم، إنّ مَـنْ دخل النـار لا يـذوق فيـها بـرداً ولا شرابـاً»، ذكـره الخرائطـي في كتـاب «النشور».

وروي أن سلمان الفارسي لما سمع قوله عـز وجـل ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر:٤٣]، فرّ ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل، فجـيء بـه إلى النبي ﷺ فسأله فقال له: يا رسـول الله أنزلـت هـذه الآيـة، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعـت قلـبي، فـأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥] الآيـة. ذكـره الثعلـبي وغيره[1].

والله أعلم بأسانيدها ولم يتكلم عليها القرطبي في «التذكرة»[2].

(١) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع (٣١/١٠)، فقال: ويروى أن سليمان ﷺ فذكره.
(٢) انظر «التذكرة» (١٣١/٢-١٣٢).

باب
ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار بالله من النار، قالت النار: اللهم أجره من النار» أخرجه الترمذي[1].

وعن أبي سعيد الخدري أو عن أبي حجيرة الأكبر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أحدهما حدّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حرّ هذا اليوم! اللهم أجرني مِنْ حرِّ جهنّم، قال عزّ وجل: لجهنّم: إن عبداً من عبادي استجار بي منك وإني أشهدك أني قد أجرته.

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله عز وجل لجهنّم: إن عبداً من عبادي استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته» فقالوا: وما زمهرير جهنّم؟ قال: «جب يلقى فيه الكافر قد تميّز من شدة برده بعضه من بعض» رواه البيهقي[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٢)، والنّسائي في عمل اليوم والليلة (١١٠)، وأبو يعلى (٣٦٨٢)، والإمام أحمد (٢٠٨/٣)، وابن حبان (١٠٣٤)، والحاكم (٧١٧/١)، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (٣٧٨/١١) والحديث صحيح.

(٢) ذكره البيهقي في الاعتقاد (ص٨٥-٨٦).

قال القرطبي في «**التذكرة**»: تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك، ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[١] قلت: الخريف السنة.

وأخرج النسائي عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[٢] وأخرج الترمذي عن أبي أمامة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين المشرق والمغرب**» ويروى «**كما بين السماء والأرض**» هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٢) رواه النسائي (١٧٢/٤)، وفي الكبرى (٢٥٥٢)، وابن ماجة (١٧١٨)، والإمام أحمد (٣٠٠/٢)، وابن عدي في الكامل (١٥٦/٤)، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (٨/٤)، من طريقين عن أبي هريرة.
فرواه أنس بن عياض ثنا عبدالله بن عبد العزيز الليثي عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً.
والليثي ضعيف اختلط بآخره.
ورواه أنس أيضاً عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.
والحديث صححه الألباني عليه الرحمة.

(٣) رواه الترمذي (١٦٢٤)، والروياني (١١٩٨)، والطبراني في الكبير (٧٩٢١)، من طريق الوليد بن جميل عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعاً، ورواه الطبراني في الأوسط (٣٥٧٤)، وفي الأوسط (٤٤٩)، والحارث في مسنده (٣٤٤-بغية) من طريق شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء وهذا إسناد ضعيف.

وخرج الطبراني عن عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: **«من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة مائة عام»**[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بُوعِدَ مِنْ جهنّم سبعين خريفاً»**. قلت: يا أبا حمزة ما الخريف؟ قال: العام. رواه أبو داود في كتابه[(٢)].

وعن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»** أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٥١٨)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ولم يذكر ما بين كل خندق مسيرة مائة عام.
ورواه الحاكم في الصحيح (١٤٤/٤)، وصححه وابن حبان في «المجروحين» (٣٠١/١)، عن عبدالله ابن عمرو أيضاً وفيه: ما بين خندقين مسيرة خمسمائة عام.

(٢) رواه أبو داود (٣٠٩٧)، وفي إسناده الفضل بن دلهم وهو لين في الحديث.
ورواه الطبراني في الأوسط (٦٤٤١) وفيه: مسيرة ستين خريفاً.

(٣) ورواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

باب
احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجّت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله تعالى لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح[١].

قال الحاكم أبو عبد الله في «علوم الحديث» سأل محمد بن إسحاق ابن خزيمة عن هذا الحديث من الضعيف قال: الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم والليلة عشرين مرة أو خمسين[٢] مرة.

قال القرطبي: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع والله أعلم[٣].

وأما المساكين: فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً وتوفَّني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[٤]

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، والترمذي (٢٥٦١).

(٢) معرفة علوم الحديث (ص٨٤).

(٣) التذكرة (٢/١٣٢).

(٤) الحديث رواه الترمذي، وضعّفه بعضهم وحسّنه آخرون ومعناه الصحيح ما ذكره صديق حسن خان وليس المسكنة هنا بمعنى الفقر.

ولقد أحسن مَنْ قال:

إذا أردتَ شريــف النــاس كلّــهم فــانظر إلى ملــك في زي مســكين
ذاك الــذي عظمــت في الله رغبتــه وذاك يصلــح للدنيــا وللديــن[1]

(١) نسب الشعر لأبي بكر الصديق ﷺ ذكره الذهبي في الميزان (١٠٨/٥).

باب
في صفة النار وفي شرار الناس من هم

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **«أهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذي هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجل يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش»**. أخرجه مسلم بطوله[1].

وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسولا لله ﷺ: **«ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر»**[2] وفي رواية **«زنيم متكبر»** أخرجه مسلم وابن ماجه[3].

والجواظ الفظّ الغليظ، وقيل: الجافي القلب، والعتلّ: الشديد الخصومة وقيل: هو الأكول الشروب الظلوم، والزنيم المستحلق في قوم ليس هو منهم وقيل: اللئيم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرّد الذي يتمرد على الله، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله»** رواه

---

(١) حديث عياض بن حمار عند مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧١، ٦٦٥٧)، ومسلم (٢٨٥٣)، وابن ماجة (٤١١٦)، وفي لفظ لمسلم: **«ألا أدلكم»**.

(٣) مسلم (٢٨٥٣).

ابن ماجه[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل النار إلا شقي، قيل يا رسول الله: ومن الشقي؟ قال: من لم يعمل لله بطاعة ولم ينزل له عن معصية»** رواه ابن ماجه[٢].

وعنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع»**[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: مرّ بجنازة فأثنى عليها شراً، فقال النبي ﷺ: **«من أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»** رواه مسلم بطوله[٤].

قالت عائشة: النار دار البخلاء. وقال زيد بن أسلم: نهاك الله أن تكون لئيماً فتدخل النار.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بشراركم؟»** قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **«من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده، أفأنبئكم بشر من هذا؟»** قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **«من يبغض الناس**

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٩٧)، والعقيلي (٩٦/١) بسند ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٢٩٨)، والإمام أحمد (٣٤٩/٢) بسند فيه ابن لهيعة.

(٣) رواه ابن ماجة (٤٢٢٤)، والطبراني في الكبير (١٢٧٨٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨٠/٣)، والبيهقي في الزهد (٨١٤)، وفي إسناده أبو هلال الراسبي محمد بن سليم في حديثه لين.

(٤) مسلم (٩٤٩).

ويبغضونه» قال: «**أفأنبئكم بشر من هذا؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**من لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً**» قال: «**أفأنبئكم بشر من هذا؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره**» أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظي بطوله قال: وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديثه عن ابن عباس[١].

(١) الحديث رواه مطولاً أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٢١٨-٢١٩) والحارث في مسنده (١٠٧٠- بغية).

باب
في صفة أهل النار

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل سفيه جعظري**» رواه أحمد، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف[(١)].

وعن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار «**كل جعظري جواظ مستكبر جَمَّاع منَّاع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[(٢)].

وعن ابن غنم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم**» رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ[(٣)].

وعن علي بن رباح قال بلغني عن سراقة بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٦٩/٢، ٥٠٨)، والطيالسي (٢٥٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩١٢) بسند ضعيف.
بلفظ كل شديد جعظري الذين لا يألمون ولم أجد اللفظ المذكور (سفيه) ولعل مؤلفنا رحمه الله نقله من الهيثمي مباشرة فقد تفرّد بذكر هذا اللفظ.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٦٩/٢، ٢١٤)، والحارث في مسنده (١٠٩٨-زوائد)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨١٧٢)، من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.
موسى صدوق فربما أخطأ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٢٧/٤) عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم مرسلاً.
شهر ضعيف في الحديث.

سراقة **ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟**» قال: بلى يا رسول الله قال: «**أما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه راوياً لم يسم، قاله في «مجمع الزوائد»[١].

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بعث الله نبياً إلى قوم فقبضه إلا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم**» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أمتي لم أرهما قوم معهم سياط من نار كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**» أخرجه مسلم[٣].

قال الخليل: (الصنف الطائفة من كل شيء والسوط اسم العذاب وإن لم يكن ثم ضرب) قاله الفراء.

قال القرطبي: (وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن). انتهى[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٥/٤)، والطبراني في الكبير (٦٥٨٩)، والحاكم (١٢٩/١، ٧١٧/٣).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٩٨٠)، وفي الكبير (١٢٥١٤، ١٢٥١٥).

(٣) مسلم (٢١٢٨).

(٤) ولو جاءوا لزماننا لشاهدوا ما يذهب العقول في تفنن الإنسان في عذاب أخيه الإنسان، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: بل هو مشاهد في كل مكان وزمان ويزداد يوماً فيوماً عند الأمـراء والأعيان فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله.

والمعنى أنهن كاسيات بالثياب، عاريات من الدين لانكشافهنّ وإبداء محاسنهنّ، وقيل: كاسيات ثياباً رقاقاً يظهر ما تحتها وما خلفها فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة، وقيل كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام ومما لا يجوز لبسه ومائلات معناه زائغة عن طاعة الله وطاعة الأزاوج وما يلزمهنّ من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب، ومميلات معناه يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهنّ، وقيل مائلات متبخترات في مشيتهن، مميلات يملن رؤوسهن وأعطافهن للخيلاء والتبختر، ومميلات لقلوب الرجال إليهن بما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن، وقيل يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا، والمميلات اللواتي يمشطن غيرهن المشطة الميلاء يغطين رؤوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن رؤوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة، لا عقص الشعر والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت: قلت: «يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي..» الحديث[1].

(١) مسلم (٣٣٠).

باب
أول من يكسى من حلل النار

عن أنس بن مالك «أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من بعده وذريته من بعده أو من خلفه وهو ينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم، فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً. رواه أحمد والبزار. قال في «مجمع الزوائد» ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق[1].

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٢٤٩)، والبزار، وعبد بن حميد (١٢٢٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٥٥-٢٥٦)، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (١١/٢٥٣) من طريق ابن جدعان وهو ضعيف عن أنس مرفوعاً.

باب
ما جاء في أكثر أهل النار

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**قمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**» أخرجه مسلم. ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس: «**رأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»[١].

وعن عمران بن حصين، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»[٢] أي: لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهّب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى. فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن: صارفات: عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين.. عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر**

---

(١) رواه البخاري (٥١٩٦، ٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٢) مسلم (٢٧٣٨).

أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» رواه الترمذي، ورواه عن عمران بن حصين أيضاً، وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وكلا الحديثين ليس فيهما مقال[١].

وعن حارثة بن وهب الخزاعي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر»**. أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[٢]. والعتل الشديد الجافي والجواظ الجموع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيه، وقيل: القصير البطن.

وعن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الفساق أهل النار، قالوا يا رسول الله ومن الفساق؟ قال النساء. قال رجل يا رسول الله: أو ليس أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن»**. رواه أحمد ورجاله ورجال الصحيح غير أبي راشد الحبراني وهو ثقة[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦) عن عمران بن الحصين.
ورواه الترمذي (٢٦٠٢) عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه وهو عند الترمذي (٢٦٠٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٢٨/٣)، والحاكم (٦٤٧/٤) من طريق أبي راشد البحراني عن ابن شبل مرفوعاً.
ورواه الإمام أحمد (٤٤٤/٣)، وعبد بن حميد (٣١٤)، والحاكم (٢٠٧/٢، ٦٤٧/٤)، من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده قال كتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل .. فذكره مرفوعاً عن ابن شبل وجد زيد هو ممطور ثقة يرسل وأرسل عن جميع من الصحابة مسند الشاميين ممن توفي بعد معاوية فيحتمل أن يكون معاوية منهم ولم يثبت منه سماع.

وعن حكيم بن حزام قال: أمر رسول الله ﷺ النساء بالصدقة وحثهن عليها وقال: «**تصدقن فإنكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن لم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن اللعن وتسوفن الخير وتكفرن العشير**». رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**باب النار لا يدخله إلا من يشفي غيظه بسخط الله**». رواه البزار من طريق قدامة بن محمد عن إسماعيل بن شيبة، وهما ضعيفان، وقد وثقا، وبقية رجاله رجال الصحيحين[2]، وعنه قال: «**يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرق أنيابها مشوه خلقها فتشرف على الخلائق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ يقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي: أي: رب أين أتباعي وأشياعي، فيقول الله تعالى: ألحقوا بها**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١١٥٦)، وابن حبان (٧٤٧٨)، من طريق زيد بن رفيع عن حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه مرفوعاً.

زيد بن رفيع إذا روى عنه ثقة فلا بأس بحديثه والراوي عنه زيد بن أبي أنيسة ثقة له أفراد - ولعل هذا منها- قاله ابن عدي ووثقه أبو داود وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات وقال الإمام أحمد ما به بأس.

أما من تكلم فيه فقد قال النسائي: ليس بالقوي وضعّفه الدارقطني.

حزام بن حكيم بن حزام ذكره ابن حبان في الثقات.

وهذه الزيادة المذكورة في الحديث تفرد بها ابن أبي أنيسة وهي من غرائبه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٣٣١)، وابن عدي (٥١/٦)، والعقيلي (٨٣/١) إسماعيل بن شيبة ضعيف منكر الحديث وابن قدامة يخطئ.

أتباعها وأشياعها»[١].

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العرافة حق ولابد للناس من عرفاء، ولكن العرفاء في النار**» أخرجه أبو داود[٢]. قال أهل العلم: العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم.

ومعنى قوله «**إن العرافة حق**» يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقاً بهم، ألا تراه يقول: لابد للناس من عرفاء؟

وقوله: «**في النار**» معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة والله أعلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويل للأمراء وويل للأمناء وويل للعرفاء، ليتمنّينّ أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريّا يتذبذبون بين السماء والأرض وإنهم لم يعملوا عملاً**». أخرجه أبو داود والطيالسي[٣].

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**» رواه البخاري. قال سفيان: يعني قاطع رحم[٤] وعن عقبة بن عامر

---

(١) رواه ابن الأعرابي في الزهد (٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٧١)، كلاهما من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه أبو داود (٢٩٣٤) ومن طريقه البيهقي (٣٦١/٦) من طريق رجل عن أبيه عن جده، فالحديث ضعيف بسبب جهالة رواته.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥٢/٢، ٥٢١)، والطيالسي (٢٥٢٣)، وأبو يعلى (٦٢١٧) بسند جيد.

(٤) رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة صاحب مكس**» رواه أبو داود[1]، ومفهومها إنهما يدخلان النار.

قال أهل العلم: صاحب المكس هو الذي يعشر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين ما لا يجب عليهم إذا مروا به مكساً باسم العشر والزكاة وليس هو الساعي الذي يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء.

قال القرطبي: (إن التبديل إذا كان في الأعمال وليس هو في العقائد فصاحبه في المشيئة إن عذب فإنه يخرج بالشفاعة، وهكذا القول في أصحاب الكبائر المتوعّد عليها بالنار واللعنة، فإنهم يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال)[2].

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٧)، والدارمي (١٦٦٦)، والإمام أحمد (١٤٣/٤)، وأبو يعلى (١٧٥٦)، والطبراني في الكبير (٣١٧/١٧-٣١٨)، وابن الجارود في المنتقى (٣٣٩)، والحاكم (٥٦٢/١).
ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٣٢٣/٢-٣٢٤)، من طريق عطية عن أبي سعيد مرفوعاً.
وزاد فيه ولا خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ولا منان.
والحديث ضعيف وزياداته منكرة.
(٢) التذكرة (١١٥/٢).

باب
ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ثلاثة يدخلون النار: أمير متسلّط وذو ثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير فجور**». أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة بطوله[١].

باب
بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فيقول: أخرج بعث جهنّم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين. قيل: فما يبقى منا يا رسول الله؟ قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**». أخرجه البخاري[٢].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٤٢٥، ٤٧٩)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٦٩)، وابن خزيمة في الصحيح (٢٢٤٩)، وابن حبان (٤٦٥٦، ٧٤٨١) من طريق عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.
ورواه ابن عدي (٤/١١٠) من طريق طلحة بن زيد الرقي عن الخليل بن مرة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.
طلحة الرقي متروك والخليل ضعيف.

(٢) البخاري (٦٥٢٩).

الغبرة والقترة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟ فيقول اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم يا رب ألم تعدني إنك لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطّخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»، أخرجه البخاري[1]، والقترة غبرة معها سواد، والذيخ ذكر الضباع.

وفي الحديث دليل على أن الكافر في النار وإن كان أبا أحد من الرسل، وقد تعصّب قوم أولهم السيوطي في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة، واستدلّ لذلك بأخبار لا تصح ولا تثبت، وتوقف قوم في ذلك، وليس الخوض عندي في هذا الباب من شأن أهل العلم.

وقد ينجر هذا البحث إلى إساءة الأدب في حق من لا يجوز الإساءة فيه، والله أعلم بحال أبويه ﷺ وما لهما يوم القيامة، ولا يلحق عار ولا شنار له ﷺ بكونهما في النار كما لا يلحق لإبراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها، نعم لو جاء رسول الله ﷺ في ذلك شيء وصح لوجب المصير إليه ولا يعبأ بأقوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار في أمثال هذه الأبحاث، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمرو بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بال من إيمانه وعلى سلامة من إسلامه، ولا يخوض مع الخائضين، فإن الجهل لمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم قد

---

(١) البخاري (٣٣٥٠، ٤٧٦٩).

غلب على الناس أولهم إلى آخرهم إلا من عصمه الله تعالى وفقهه في الدين وقليل ما هم وقليل من عباده الشكور.

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فخفف ذلك عنهم**»، رواه أحمد والطبراني قال في «**مجمع الزوائد**» وإسناده جيد[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن الله عز وجل يبعث منادياً ينادي: يا آدم أن الله عز وجل يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول: آدم يا رب ومن كم؟ قال: فيقال: له من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم: من هذا الناجي منا بمد هذا يا رسول الله! قال: هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير**»، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف[2].

وعن ابن عباس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج:١]، إلى

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٤٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/٣٨٨)، وأبو يعلى، وهو بهذا السياق والسند ضعيف.

وللحديث شواهد في الصحيحين عن أبي سعيد وابن هريرة فالحديث حسن إن شاء الله.

آخر الآية قال: «هل تدرون أي: يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله عز وجل:

يا آدم قم فابعث بعثاً إلى النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة، فشق ذلك على القوم فقال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ: اعملوا وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرتا، يأجوج ومأجوج وإن أنتم في الناس أو قال: في الأمم إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، إنما أمتي جزء من ألف جزء»، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة[1].

وعن أنس قال: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ إلى قوله ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج:١-٢].

نزلت على النبي ﷺ في مسير له فرفع بها صوته حتى جاء إليه أصحابه فقال: «أتدرون أي: يوم هذا. يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعثاً إلى النار من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة فشق ذلك على المسلمين فقال النبي ﷺ: سددوا وقاربوا وأبشروا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في

---

(١) رواه الحاكم (٦١٢/٤)، وعزاه ابن رجب في التخويف للإمام أحمد.

ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس»[1] رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة كذا في **«مجمع الزوائد»**.

---

(١) رواه أبو يعلى، وعبد بن حميد (١١٨٧)، وابن منده في الإيمان (٩٩٢)، والحاكم (٤/٦١٠)، وابن حبان (٥٢/١٩-زوائد) وعزاه ابن رجب في التخويف (ص٢٥٢) لابن أبي حاتم.

وكلام الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/٣٩٤).

باب
ما جاء في أول من تسعر بهم جهنّم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصانف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يجب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»، أخرجه مسلم والترمذي بمعناه وقال في آخره «ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، والزيادة له.

باب
ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي؟

وإنما قلنا أدراك ولم نقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل «درك» ولما تعالى «درج» فيقال للجنة درج وللنار أدراك، والمنافقون في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين، والنار دركات سبعة أي: طبقات ومنازل[1].

عن كعب الأحبار: إن في النار لبئراً ما فتحت، أبوابها بعد مغلقة ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهي الدرك الأسفل من النار»، رواه ابن وهب عن طريق ابن زيد[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، قال: «**توابيت من حديد مصمتة عليهم في أسفل النار**» أخرجه ابن المبارك[3]، وعن علي قال: هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا

---

(١) بتصرف عن القرطبي التذكرة (٢/١٣٤-١٣٥).

(٢) التذكرة (٢/١٣٥).

(٣) في الزهد (٣٠٠)، وهنّاد في الزهد (٢٢٣)، والطبراني في الكبير (٩٠١٥)، وابن أبي شيبة (٣٤١٢٥)، وروي بلفظ قريب منه، أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار (١٠٤)، والطبري (٣٣٨/٥)، وانظر التخويف من النار (ص٨٠).

هي مثل أبوابنا هذه قال: «**لا هي هكذا بعضها فوق بعض**»، رواه إبراهيم بن هارون الغنوي(١)، قال أهل العلم: أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ وهي التي تخلى من أهلها فيصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية(٢).

قال القرطبي وقد يقال للدركات درجات لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٣٢]، ووقع في كتاب الزهد والرقاق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح(٣).

قال الضحاك: في الدرك الأعلى المحمديون وفي الثاني النصارى وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابئون وفي الخامس المجوس وفي السادس مشركوا العرب وفي السابع المنافقون(٤).

وقال معاذ بن جبل: وذكر علماء السوء من إذا وعظ عنف وإذا وعظ أنف فذاك في أول درك من النار ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ السلطان فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يحرز علمه فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعاً فذلك في الدرك الرابع من

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٩٤)، وهنّاد (٢٤٧)، وابن ا بي شيبة (٨/٤٩٢).

(٢) ذكره القرطبي (٢/١٣٦) بلفظ وقال العلماء: ..

(٣) التذكرة (٢/١٣٦).

(٤) ذكره القرطبي في التفسير (١٠/٣٠)، وفي التذكرة (٢/١٣٦) وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن أبي حاتم (٤/١٠٠).

النار، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس سلوني فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً والله لا يحب المتكلفين، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً فذلك في الدرك السابع من النار، ذكره غير واحد من العلماء.

قال القرطبي مثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفاً.

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنّم وسقر ولظى وسموم، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفي التنزيل ﴿وَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]، يريد النار[١].

(١) كلام القرطبي في التذكرة (٢/١٣٦-١٣٧).

وقد كتب طابع الكتاب ابن صديق حسن خان (نور الحسن) عبارات غير شرعية في آخر الكتاب، وهنا.

فكتب بعد هذهِ العبارة (أجارنا الله بجاه محمد ﷺ وآله).

وفي آخر الكتاب كتب (يقول المتوسل بالجاه النبوي..).

وهذهِ العبارات كان العلاّمة صديق حسن خان يحذر منها، وابنه هذا عرف بسوء المعتقد والإساءة لأبيه.

وقد وضح ذلك الألوسي في «رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين» وهو مخطوط تحت الطبع، يسر الله نشره.

باب
ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة

عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فإنها لا تفتح ولا تسعر**»، أخرجه أبو نعيم وهذا غريب من حديثه، ومكحول لم يكتبه إلا من حديث النعمان[1]، قال القرطبي: ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله عز وجل أعلم[2].

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٥٩)، ومن طريقه أبي نعيم في حلية الأولياء (١٨٨/٥)، بسند منقطع وروي عن أبي قتادى عند أبي داود (١٠٨٣) بسند ضعيف ومرسل وفيه أن جهنم تسجر إل يوم الجمعة.

(٢) التذكرة (١٣٨/٢).

باب
ما جاء أن جهنم لها سبعة
أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم

تقدم الكلام على ذلك في الباب الثاني من الآيات الكريمة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لجهنم سبعة أبواب: باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال أمة محمد** ﷺ» خرجه الإمامان الحافظان أبو عبد الله وأبو عيسى وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول رحمه الله، قال القرطبي: مالك أبو عبد الله البجلي الكوفي إمام ثقة خرج له البخاري ومسلم والأئمة[١].

وقال أبي بن كعب: لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية[٢]، وعن عطاء الخراساني قال: إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحرًّا وأنتنها ريحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم. رواه أبو نعيم الحافظ[٣].

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قول الله تعالى يعني الآية المتقدمة: «**جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله وجزء آثروا**

---

(١) التذكرة (٢/١٣٨)، والحديث رواه البخاري في التاريخ (٢/٢٣٥)، والترمذي (٣١١٣)، والإمام أحمد (٢/٩٤)، وابن حبان في المجروحين (١/٢١١-٢١٢)، وبسند مرسل قاله ابن حبان كما في جامع التحصيل (ص١٥٦).

(٢) رواه عبد الرزّاق (١٠/١٥٥).

(٣) رواه أبو نعيم الحافظ في الحلية (٥/١٩٨)، ووقع في القرطبي هذا الأثر عن أُبي بن كعب.

شهواتهم على الله وجزء شفوا غيظهم بغضب الله وجزء صيّروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله»، ذكره الحليمي في كتاب «**منهاج الدين**» له وقال، فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله هم الثنوية، والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلهاً أو لا إله لهم ويشكون في شريعته إنها من عنده أم لا، والغافلون هم الذين يجحدون أصلاً ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم برسل الله وأمره ونهيه، والشاقون هم القتالون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم، والمصيرون رغبتهم المفكرون للبعث والحساب والعاتون الذين لا يبالون بأن كيون ما منهم حقاً أو باطلاً فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستبدلون والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ إن كان الحديث ثابتاً[1].

---

(١) التذكرة (٢/١٣٩).

باب
في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٤]، قال: من الكفار والمنافقين والشياطين، بين الباب والباب خمسمائة عام[1].

فالباب الأول يسمى جهنّم لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم، وهو أهون عذاباً من غيره.

والباب الثاني يقال له لظى نزاعةً للشوى، ويقول آكله لليدين والرجلين يدعو ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن التوحيد ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عما جاء به محمد ﷺ.

والباب الثالث يقال له سقر وإنما سمي سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء ولا يبقي لهم لحماً على عظم.

والباب الرابع يقال له الحطمة. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة:٥]، الآية تحطم العظام وتحرق الأفئدة.

وقال تعالى: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة:٧]، تأخذ النار من قدميه وتطلع فؤاده وتحرق جلودهم وأيديهم وأبدانهم فيبكون الدمع حتى ينفد،

---

(١) القرطبي (١٤٠/٢).

ثم يبكون الدماء حتى تنفد، ثم يبكون القيح حتى إن السفن لو أرسلت تجري فيما خرج من أعينهم لجرت.

والباب الخامس يقال له: الجحيم وإنما سمي الجحيم؛ لأنه عظيم. والجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا.

والباب السادس يقال له السعير لأنه يسعر لم يسعر منذ خلق، فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال وفيه جب الحزن ليس في النار عذاب أشد منه، إذا فتح الجب حزن أهل النار حزناً شديداً.

الباب السابع يقال له: الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً. وفيه بئر اللهب إذا فتح تخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه الذي قال الله عز وجل ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر:١٧]، وهو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، فهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضرب سمع صوتها الثقلان «**أبواب النار حديد**» فرشها الشخي غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم والنار من تحتهم، لهم من فوقهم ظلل من النار. ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مدلهمة مظلمة، قد مزجت بغضب الله[١].

---

(١) التذكرة (٢/١٤٠-١٤٢).

وذكر القتبي[١] في كتاب «**عيون الأخبار**».

وذكر عن ابن عباس: أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب، وهي كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر:٤٤]، على كل باب سبعون ألف جبل سبعون ألف شعب من النار، في كل شعب سبعون ألف شق من نار، في كل شق سبعون ألف واد من نار، في كل واد سبعون ألف قصر من النار، في كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب سبعون ألف ذنب، لكل ذنب سبعون ألف نقار لكل نقار سبعون ألف قلة من سم، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادي رب سلم سلم[٢].

قال القرطبي: ومثله لا يقال من جهة الرأي، فهو توقيف لأنه إخبار عن مغيب. انتهى.

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه. وأقول: وهب يحدث عن الإسرائيليين كثيراً ولا يقبل مثل ذلك عنه ولا عن أمثاله ونظرائه إلا أن يرد به دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة، وما ورد في ذلك من القرآن والحديث يكفي ويشفي ويغني عن غيره[٣].

---

(١) القتبي هو لقب لابن قتيبة الدينوري.

(٢) التذكرة (٢/١٤٢-١٤٣).

(٣) التذكرة (٢/١٤٣).

باب
ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبي ﷺ إياها وردها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» أخرجه مسلم[١] ورواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود أيضا عن النبي ﷺ ولفظه «**يجاء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**». قال في «**مجمع الزوائد**»: ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر بن الصباح، وقد وثقه ابن حبان. انتهى[٢].

زاد زيد بن أسلم: «**فبينا هم إذا شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها**»، ذكره ابن وهب بطوله[٣]، وزاد أبو حامد في كتاب «**كشف علوم الآخرة**»: «**فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين، ويجعل كل واحد منهم**

---

(١) مسلم (٢٨٤٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٢٨)، وليس في إسناده عمر بن حفص بن غياث وهو ثقة ربما وهم.

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة (٢/١٤٤).

يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها ومحمد ﷺ يقول: أمتي سلمها ونجها يا رب، وليس في الموقف من يحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية:٢٨]، **إلى آخر ما قال**»، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[١].

وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنّم: «**ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب**»، رواه ابن هب[٢].

وقال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنّم[٣].

وأما قوله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر:٣٠]، فالمراد رؤساءهم كما تقدم في باب الآيات، وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، قال أهل العلم: إنما خص النبي ﷺ بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء لأنه رآها في مسراه وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح، وفي ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبي في التذكرة ليس في ذكرها هنا كثير فائدة[٤].

---

(١) التذكرة (٢/١٤٤-١٤٦).

(٢) ذكره القرطبي في التفسير (١٩/٨٠) وعزاه لابن وهب أيضاً عن عبد الرحمن بن زيد مرسلاً أيضاً.

وأورده ابن رجب في التخويف من النار.

(٣) تفسير القرطبي (١٨/١٩٦، ١٩/٨٠).

(٤) الفوائد الثمان التي ذكرها القرطبي من التذكرة (٢/١٤٧-١٤٩).

باب
في كلام جهنم وذكر أزواجها وإنه لا يجوز إلا من عنده جواز

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحداً، فيقولون: من أزواجك؟ فيقول: كل متكبر جبار**»، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغني. وفي قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝﴾ [ق:٣٠]، دلالة على كلام جهنم واضحة لا خفاء بها، وفي حديث أنس بن مالك يرفعه: «**تقول جهنم لا يجوزني إلا من عنده جواز. قال النبي ﷺ: يا جبريل ما الجواز قال: أبشر أبشر من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم**». الحديث ذكره القرطبي[1].

(١) التذكرة (١٤٩/٢)، وفي إسناده إبراهيم بن هدبة قال ابن حبان: دجال يضع على أنس، وانظر المجروحين (١١٤/١-١١٥)، الكشف الحثيث (٢٤).

باب
ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم
قال تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله ﷺ. هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنّم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم، فقال: **«وبماذا غلبوا»**؟

قال: سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم، فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: **«أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾** [النساء:١٥٣]، **فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم: كم عدد خزنة جهنم؟ قال: «هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسع. قالوا نعم»**. الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه[١].

(١) رواه الترمذي (٣٣٢٧) مطولاً.
ورواه الإمام أحمد (٣٦١/٣) مختصراً، وفي إسناده مجالد وهو ضعيف فهو بهذا السياق لا يصلح.

باب
ما جاء في سعة جهنم وعظم
سرادقها تقدم ما ورد من الآيات في بابها

عن مجاهد عن ابن عباس قال: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال أجل والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجري فيها أودية القيح والدم، قلت له: أنهار؟ قال: لا بل أودية، ثم قال: أتدري ما سعة جهنم[١]؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، قالت: قلت: «فأين الناس يومئذٍ؟ قال على جسر جهنّم». أخرجه ابن المبارك والترمذي وصححه.

قال في «مجمع الزوائد»: ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة ابن سعيد وهو ثقة.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة». ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذي أيضاً[٢] وقال عبد الله بن مسعود: إن جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح وذكره الثعلبي والقشيري عن ابن عباس[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١١٦/٦)، والترمذي (٣٢٤١)، والنسائي (١١٤٥٣) واللفظ للإمام أحمد.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٤)، وابن المبارك (٣١٦)، والإمام أحمد (٢٩/٣)، وأبو يعلى (١٣٨٩)، والحاكم (٦٤٣/٤) والحديث ضعيف.

(٣) رواه ابن المبارك (٢٩٩).

باب
ما جاء في أن الشمس والقمر يقذفان في النار

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝﴾ [القيامة:٩]، قال: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار فتكون نار الله الكبرى[(١)].

وعن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار**». أخرجه أبو داود الطيالسي. قال في «**مجمع الزوائد**» ورواه أبو يعلى وفيه ضعفاء قد وثقوا[(٢)].

قال القرطبي: كذا الرواية «**ثوران**» بالمثلثة وإنما يجمعان في جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله، ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد، وإنما يعف لذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم، هكذا قال بعض أهل العلم[(٣)].

---

(١) رواه الطبري محمد بن جرير في التفسير (١٨٠/٢٩).

(٢) رواه أبو يعلى (٤١١٦)، والطيالسي (٢١٠٣)، وأبو الشيخ في العظمة (١١٥٩/٤)، وابن حبان في الضعفاء (٢٩٣/١)، وابن عدي في الكامل (١٠٢/٣).

ولا يعرف توثيق معتبر لهؤلاء الضعفاء كما زعم الهيثمي رحمه الله.

(٣) التذكرة (١٥٥/٢).

باب
ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجارنا الله منها

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة**» رواه مالك والترمذيّ وهذا لفظه قال الموقوف في هذا الباب أصح ولا أعلم أحد رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك وعنه موقوفاً مثله، وقال: «**فهي كسواد الليل**» مكان «**سواد مظلمة**» رواه ابن المبارك وعنه أنه قال ترونها كقاركم لهي أشد سواداً من القار، والقار الزفت[(١)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهي أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً**»، رواه الطبراني في الأوسط، قال في «**مجمع الزوائد**» ورجاله رجال الصحيح[(٢)]، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩١)، شريك يخطئ كثيراً تغير حفظه وعاصم صدوق حسن الحديث.
وروي من حديث عمر بن الخطاب بسند واه رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٨٣).
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٩)، من حديث أنس بسند ضعيف بمرة.
وأما الموقوف فهو عند ابن أبي شيبة (٣٤١٦٥)، والإمام مالك في الموطأ (١٨٠٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٥)، وانظر المجمع (١٠/٣٨٧).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/٣٧٩)، والحميدي (١١٢٩)، بسند صحيح.
وانظر «مجمع الزوائد» (١٠/٣٨٧).

وعن سلمان قال النار سوداء لا يضيء لهبها ولا جمرها[١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**نار ابن آدم التي يوقدون منها جزء من سبعين جزء من نار جهنم فقالوا: يا رسول الله وإن كانت لكافية قال: فإنها فضلت بتسعة وستين جزء**». أخرجه مالك ومسلم وزاد: «**كلها مثل حرها**»[٢].

وفي «**تيسير الوصول إلى أحاديث جامع الأصول**»[٣] أخرجه الثلاثة والترمذيّ، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنّم ولولا أنها اطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها**» رواه ابن ماجه[٤] ورواه البزار عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال: «**إنها لجزء من سبعين جزء من نار جهنم وما وصلت إليكم -أحسبه قال- حتى نضحت مرتين بالماء لتضيء لكم ونار جهنم سوداء مظلمة**» قال في «**مجمع الزوائد**» ورجاله ضعفاء عن توثيق لين فيهم[٥].

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**الرؤيا الصالحة بشرى وهي جزء من سبعين جزء من النبوة وإن ناركم -يعني هذه- جزء من**

(١) رواه هنّاد في الزهد (٢٤٨)، وابن المبارك (٣١٠)، وابن أبي شيبة (٣٤١٢٠).
(٢) مسلم (٢٨٤٣)، والإمام مالك (٩٩٤) والزيادة لمسلم.
(٣) الكتاب مطبوع لابن ديبع الشيباني.
(٤) رواه ابن ماجة (٤٣١٨)، والحاكم (٤/٦٣٥)، والحديث صحيح.
(٥) مجمع الزوائد (١٠/٣٨٨) وهو ضعيف جداً.

سبعين جزء من سموم جهنم وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث»، رواه البزار وفيه عبيد بن إسحاق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح قاله في «**مجمع الزوائد**»[١].

وعن أبي هريرة نحوه مرفوعا وقال: «**ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة**»، خرجه سفيان بن عيينة، وفي خبر آخر عن ابن عباس: «**هذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات**[٢] **ولولا ذلك ما انتفع بها**» ذكره أبو عمرو[٣]. وقال عبد الله بن مسعود: «**لولا أنها ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشيء منها، وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مما خلقت؟ فقال: من نار جهنم غير أنها طفئت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم**[٤].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟**

فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل

---

(١) رواه البزار (١٨٦٤)، والطبراني في الكبير (١٠٥٣٢) مرفوعا.

وذكر أبو حاتم أن للحديث وجها موقوفا هو الصحيح، انظر العلل للدارقطني (٢/٢٢٠).

(٢) رواه هناد (٢٣٥)، والطبراني في الكبير (٩٠٥٧).

(٣) في الأصل أبو عمر وهو ابن عبد البر في التمهيد (١٨/١٦٣).

(٤) التذكرة (٢/١٥٩).

مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط»، أخرجه مسلم[١]، وأخرجه ابن ماجه أيضاً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال: أي: فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول: لا ما أصابني نعيم قط، ويأتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاءً فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة فيغمس فيها غمسة فيقال له: أي: فلان هل أصابك ضر وبلاء. فيقول: لا ما أصابني ضر قط ولا بلاء»[٢].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن جهنميًّا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصروها لأحرقت الدنيا من حرها، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله»، أخرجه إبراهيم بن هدبة[٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم»، أخرجه البزار[٤].

---

(١) مسلم (٢٨٠٧).

(٢) ابن ماجة (٤٣٢١).

(٣) إبراهيم بن هدبة مرّ الكلام عليه.

(٤) رواه أبو نعيم (٣٠٧/٤) قال أبو نعيم: هذا حديث منكر.

باب
ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها أجارنا الله منها ومن أهوالها

روى الأئمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من سمومها**» أخرجه البخاري ومسلم والترمذي[1] ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك ولفظه: «**فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها**»، قال في «**مجمع الزوائد**»: وفيه زياد النميري وهو ضعيف عند الجمهور. انتهى[2].

قلت: وأصله في الصحيح كما عرفت، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن جهنم قالت يا رب ائذن لي في نفس فإني أخشى أن أفيض على خلقك فأذن لها بنفسين في كل سنة مرتين، فشدة الحر من فيحها وشدة البرد من زمهريرها**» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي في «**مجمع الزوائد**»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧)، والترمذي (٢٥٩٢).

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٠٣)، وانظر «**مجمع الزوائد**» (١٠/٣٨٨).

(٣) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٧٣)، وانظر المجمع (١٠/٣٨٨).

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمع رسول الله ﷺ صوتاً هائلاً فأتاه جبريل فقال: رسول الله ﷺ: **«ما هذا الصوت يا جبريل؟ فقال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاماً فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها، فما رُئِيَ رسول الله ﷺ ضاحكاً ملأ فيه حتى قبضه الله»**. رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف قاله في **«مجمع الزوائد»**(١).

وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: **«ما تدرون ما هذا قلنا: الله ورسوله أعلم قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها»**، أخرجه مسلم(٢).

وعن الحسن قال: قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا -يعني منبر البصرة- عن النبي ﷺ قال: إن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنّم فتهوي فيها سبعين عاماً وما تقضي إلى قرارها»، قال: وكان ابن عمر يقول: (أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها مديد وأن مقامعها حديد)، رواه الترمذي وقال: لا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة البصرة زمن عمر وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨١٥)، والخطيب في التاريخ (٢٧٠/٤).

(٢) مسلم (٢٨٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٦٧)، بسند منقطع بين عتبة بن غزوان والحسن، وأصله عند مسلم (٢٩٦٧) موصولاً.

وعن لقمان بن عامر قال: جئت أبا أمامة فقلت: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أن صخرة وزنت عشرة خلفات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وأثام قيل: وما غي وأثام قال: بئران في جهنم يسير منهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكرهما الله تعالى في كتابه: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم:٥٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [الفرقان:٦٨]»** رواه الطبراني وفيه ضعفاء قد وثقهم ابن حبان وقال: يخطئون[١].

وعن الزهري قال: بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهنّ ولحومهنّ وأولادهنّ تهوي من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفاً»**. أخرجه ابن المبارك وروى الطبراني نحوه، وفيه راوٍ لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح قاله في **«مجمع الزوائد»**[٢].

وعن أبي أمامة قال: (إن ما بين شفير جهنم سبعين خريفاً من حجر يهوي -أو قال صخرة تهوي- عظمها كعشر عشرات عظام سمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد: هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة قال نعم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٧٣١)، وفي مسند الشاميين (١٥٨٩)، انظر المجمع (٣٨٩/١٠).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٦١، ٢٦٩/٢) وفي الباب عن أبي هريرة.

غي وأثام). رواه ابن المبارك[(١)].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن حجراً كسبع خلفات بشحومهن وأولادهن ألقي في جهنّم هوى سبعين عاماً لا يبلغ قعرها**» رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح كذا في «**مجمع الزوائد**»[(٢)].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن حجراً قذف به في نار جهنّم لهوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها**»، رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجالهما ثقات[(٣)].

وعن بريدة عن النبي ﷺ: «**لو أن حجراً يهوي في جهنم لما وصل إلى قعرها سبعين خريفاً**». رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف[(٤)].

وعن خالد بن عمر العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه ذكر

(١) رواه ابن المبارك (٣٠٢)، والعقيلي (٢/٨٨).
(٢) أبو يعلى (٤١٠٣)، والزهد لهناد (٢٥٢)، ومجمع الزوائد (١٠/٣٨٩).
(٣) رواه أبو يعلى (٧٢٤٣)، وهنّاد (٢٥١)، صحيح ابن حبان (٧٤٦٨).
(٤) رواه الطبراني في الكبير (١١٥٨) وفي الأوسط (٥٤٥٩).

لنا: «**أن الحجر ليلقى من شفير جهنّم فيهوي بها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، والله لتمتلئنّ**» الحديث أخرجه مسلم.

قال كعب: (لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول نفسي نفسي ذكره القرطبي)[١].

(١) رواه مسلم (٢٩٦١).

باب
ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان

ذكر رزين أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل: يا رسول الله ولها عينان؟ قال: أما سمعتم الله يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان:١٢][1]، يخرج عنه من النار وله عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه من البرية».

وفي رواية أخرى: «فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم»، صححه أبو محمد بن العرب في قيسه وقال: أي: يفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية[2].

---

(١) رواه الطبري (١٨٧/١٨)، من طريق أصبغ بن زيد الورّاق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١١/٣-ابن كثير) بنفس السند إلا أنه قال: عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

وكذا رواه الخطيب في الكفاية (ص٢٠٠).

ورواه الطبراني في الكبير (٧٥٩٩)، وأبو نعيم في المستخرج (٣٣)، والحاكم في المدخل (ص٩٦) من طريق أُسيد بن زيد الحمال ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص عن مكحول عن أبي أمامة مرفوعاً.

وأُسيد الحمّال ضعيف، ومحمد بن الفضل بن عطية كذّبوه وتركوه، والأحوص بن حكيم ضعيف أيضاً.

(٢) لم أجده إلا أن القرطبي ذكره (١٦٥/٢)، وقال: صححه أبو محمد بن العربي في قبسه (والقبس هو شرح للموطأ).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به، فيقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر؛ وبكل جبار عنيد، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام»، وفي رواية: «فتنطوي عليهم فتقذفهم في جهنّم»، رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار، وأبو يعلى بنحوه والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح[1].

وعن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي لتخلنّ بيني وبين أزواجي أو لأغشينّ الناس عنقاً واحدة، فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار، فتخرج لسانها فتلتقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول:

وعزة ربي لتخلّن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحدة، فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل جبار كفور، فتلتقطهم من بين

---

(١) هكذا رواه بهذا اللفظ البزار والإمام أحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه والطبراني في الأوسط كما ذكر الهيثمي (٣٩٢/١٠)، وهذا لفظ البزار.
ولكن رواه الترمذي (٢٧٠٠)، والإمام أحمد (٣٣٦/٢)، مختصراً وذكر فيه المصورين بدلاً من مَنْ قتل نفساً بغير نفس بسند صحيح.
وانظر التخويف من النار (ص٢١٨-٢١٩).

ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضهم بعضاً وخزنتها يكفونه وهي تقول: وعزة ربي لتخلنّ بيني وبين أزواجي أو لأغشينّ الناس عنقاً واحدة، فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل مختال فخور، فتلتقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها. ثم يستأخر ويقض الله بين العباد، رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن إسحاق مدلس، قاله في «مجمع الزوائد»[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق، فيقول إني وكلت بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصوّرين**»، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي الباب عن أبي سعيد[٢].

وكان بعض الوعّاظ يقول: أيها المجترئ على النار ألك طاقة بسطوة مالك خازن النار[٣]، ومالك إذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضاً.

---

(١) رواه أبو يعلى (١١٤٥)، وفيه ابن إسحاق كما قال الهيثمي (١٠/٣٩٢).

(٢) انظر التخويف من النار (ص٢١٨-٢١٩).

(٣) في التذكرة: ألك طاقة بسطوة الجبار ومالك خازن النار.

باب
ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم

روي عن الحسن أنه قال: (ما في جهنم وادٍ ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه). وروي عن ابن مسعود نحوه[١].

وعن ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رصاصة مثل هذه، -وأشار إلى مثل الجمجمة- أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها أو قعرها**». أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث إسناده صحيح[٢].

قال القرطبي: (وفي الخبر أن الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا فيناديهم: يا أهل النار ما تشتهون، فيقولون: نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم)[٣].

وقال محمد بن المنكدر: (لو جمع حديد الدنيا ما خلا منها وما بقي ما عدل حلقة من حلق جهنم)[٤] وقال ابن زيد: (ويقال إن حلقة من غل

---

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (١٦٧/٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٨)، والإمام أحمد (١٩٧/٢)، وفيه في زوائد الزهد (ص١٩-٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٢٩٠)، والطبري في التفسير (٦٤/٢٩)، قال ابن رجب: غريب وفي رفعهٌ نظر وانظر المزيد في التخويف (ص١٣٢).

(٣) التذكرة (١٦٧/٢).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١٥٣/٣).

أهل جهنّم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته[١]. قال: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١﴾ [الحج:٢١]، يقمعون بها هؤلاء فإذا قال: خذوه فيأخذوه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رفاتاً فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الحديد، قال: فيلقون في النار مصفودين، قال: فليس شيء لهم يتقون به إلا الوجوه وهم مصفودون قد ذهبت الأبصار فهم عمي، وقرأ له قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الزمر:٢٤]، إلى آخر الآية.

قال: إذا ألقوا فكادوا يبلغون قعرها تلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربوهم بها فجاء أمر بغلب اللهب فهووا كما هم سافلين، هكذا وقرأ قول الله عز وجل ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠]، فهم كما قال الله تعالى: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤﴾ [الغاشية:٣-٤])[٢].

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**». رواه أحمد وأبو يعلى قال في «**مجمع الزوائد**» وفيه ضعفاء وقد وثقوا[٣].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقمع من حديد**

---

(١) ذكره القرطبي (٢/١٦٨)، ويروى نحو ذلك عن الحسن ذكره ابن رجب البغدادي في التخويف من النار (ص١٣٣).

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة (٢/١٦٩-١٧٠).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/٢٩)، وأبو يعلى (١٣٨٨)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٥٤، ٦٣)، والحاكم (٤/٦٤٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٩٠)، والمقدسي في ذكر النار (٦٧) بسند ضعيف، وانظر «**مجمع الزوائد**» (١٠/٣٨٨).

لتفتت ثم عاد»، رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه[1].

وروي عن طاوس: (أن الله عز وجل خلق ملكاً وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعاً من أصابعه على السماء لأذابها. ذكره القتبي في عيون الأخبار له).

(١) رواه الإمام أحمد (٨٣/٣)، وأبو يعلى (١٣٧٧)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٥٥)، والحاكم (٦٠٠/٤) بسند ضعيف أيضاً وكلام الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣٨٨/١٠).

باب
ما جاء في كيفية دخول أهل النار وتلقي النار أهلها

عن عبد الرحمن بن زيد قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة بشــرر كـالنجوم فيولوا هاربين، فيقول الجبار تبارك وتعالى: ردوهم عليـها فـيردوهم، فذلـك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر:٣٣]، أي: مـانع يمنعكم، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتنذر حدقهم فيدخلوهـا عمياً مغلولين في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم، قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب**». ذكره ابن وهب[1].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قـال: «**إن جـهنم لـما سـبق إليـها أهلـها تلقتهم فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب**»، رواه الطبراني في الأوسط، قال في «**مجمع الزوائد**» وفيه محمد بن ســليمان بن الأصبهاني، وهو ضعيف[2].

---

(١) هذا الحديث ضعيف لضعف ابن زيد فضلاً عن إرساله.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٧٨، ٩٣٦٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٤، ٩٣/٥)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢٥٨/٣-كثير).

باب
في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

قال القرطبي: يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطير كما يطير الشرر، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف:٤٤]، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف:٥٠]، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار.

وقال بعض المفسرين: هو معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة:٢٠]، ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له، وقال: لعلك تقول: كيف ترى أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة كيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب؟ فيقال لك: لا تقل هكذا فإن الله يقوي أسماعهم وأبصارهم حتى يرضى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض، وهذا قريب في قدرة الله جداً[١].

(١) التذكرة (٢/١٧٠- ١٧١).

باب
في نفس أهل النار

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لو أن في المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لاحترق المسجد ومن فيه**»، رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق، ولم يعينه فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه، قاله في «**مجمع الزوائد**»[(1)] وعن أبي هريرة مثله ولفظه: «**ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم**» رواه البزار وفيه عبد الرحيم ابن هارون وهو ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يعتبر حديثه إذا حدث من كتابه فإن في حديثه من حفظه بعض المناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح[(2)].

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٦٧٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٧/٤)، من طريق أبي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال أبو نعيم وابن كثير: غريب.

(٢) «**مجمع الزوائد**» (٣٩١/١٠).

باب
ما جاء في أن في جهنم جبالاً وخنادق وأودية وبحاراً وصهاريج وحياضاً وآباراً أو جباباً وتنانين وسجوناً وبيوتاً وجسوراً وقصوراً أو أرجاء ونواعير وعقارب وحيات أجارنا الله منها بفضله وكرمه

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ: «**قال الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوي فيه كذلك أبداً**»، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة[(١)].

وفي حديث أنس ﷺ عنه: «**أن من مات سكراناً فإنه يبعث يوم القيامة سكراناً إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران**»[(٢)] أجارنا الله منه.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك**»، أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٦، ٣٣٢٦)، وأبو يعلى (١٣٨٣)، والطبري في تفسيره (١٥٥/٢٩)، والإمام أحمد (٧٥/٣) بسند ضعيف.

(٢) ذكره القرطبي (١٧٢/٢) معلقاً.

(٣) رواه الإمام أحمد (٧٥/٣)، وابن المبارك في الزهد (٣٣٤)، والترمذي (٣١٦٤)، وعبد بن حميد (٩٢٤)، والحاكم (٦٣٩/٤)، وابن حبان (٧٤٦٧)، وأبو يعلى (١٣٨٣) بسند ضعيف.

وعن عطاء بن يسار قال: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره[١].

وذكر ابن عطية في تفسيره عن ابن عياض أنه قال: الويل صهريج في جهنم من صديد أهل النار[٢] وقال زياد بن وقاص: الويل مسيل في أصل جهنم، وحكى الزهراني عن آخرين: أنه باب من أبواب جهنم[٣]، وقال أبو سعيد الخدري: أنه واد بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفا وأخرج الترمذي مرفوعا عن أبي سعيد: «**الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره**» قال وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث أبي لهيعة[٤].

وقال ابن زيد: اليحموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار لا بارد بل حار لأنه من دخان شفير جهنم، ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره[٥].

وقال مجاهد: واد في جهنم يقال له موبق[٦]، وعن عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فإذا طارت إليهم

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٧٩/١)، وابن المبارك في الزهد (٣٣١).

(٢) تفسير ابن عطية الأندلسي (١٧٠/١).

(٣) التذكرة (١٧٣/٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ذكره القرطبي في التفسير (٢١٣/١٧)، وفي التذكرة (١٧٤/٢).

(٦) ذكره القرطبي في التفسير (٣/١١)، وفي التذكرة (١٧٤/٢)، في قوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾ [الكهف:٥٢].

لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار[١] وقال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم[٢] قال نوف البكالي: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝﴾ [الكهف:٥٢]، قال واد في جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان[٣].

وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إن في جهنم لوادياً يقال له هبهب يسكنه كل جبار**»، ورواه الترمذي ورواه الطبراني بلفظ: «**إن في جهنم وادياً وفي الوادي بئر يقال له هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار عنيد**» قال في «**مجمع الزوائد**» وفيه أزهر بن سنان وهو ضعيف.

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهنّ اللسعة فيجد حموها أربعين خريفاً وأن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفاً**» رواه أحمد والطبراني، قال في «**مجمع الزوائد**» وفيه ضعفاء قد وثّقوا.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله في النار إلا النملة**» رواه أبو يعلى قال في المجمع ورجاله ثقات.

---

(١) ذكره القرطبي في التفسير (٣/١١)، وفي التذكرة (١٧٤/٢).

(٢) رواه الطبري (٢٦٥/١٥)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص٣١١)، وابن حبان في الثقات (٥٣٨/٥)، والعقيلي (٣٨٦/٤).

(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص٣١١)، والطبري (٢٦٤/١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٥٢/٦)، وعزاه السيوطي لابن المنذر.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**الذباب كله في النـار إلا النملـة**» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهـو ثقة ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار عن ابـن عمـر عـن النبي ﷺ بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطـبراني ثقـات ورواه الطـبراني أيضـاً عن ابن مسعود مرفوعاً وقال: «**إلا النحــل**» وفيـه إسـحاق بـن يحيى بـن طلحة وهو متروك وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات وقال نحتـجّ بما وافق فيه الثقات ونترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح وقد وافق الثقات في أصل الحديث.

وعـن ابـن مسـعود في قـول الله تعـالى: ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]، قال: زيدوا عقـارب أنيابـها كـالنخل الطـوال[1]، رواه أبـو يعلـى ورجاله رجال الصحيح، وعن ابن عباس في الآية المذكورة قال: «**هي خمسـة أنهار تحت العرش يعذّبون ببعضها بـالليل وببعضـها بالنـهار**»، رواه أبـو يعلى ورجاله رجال الصحيحين، كذا في «**مجمع الزوائد**».

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها سـئلت عـن قـول الله تعـالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝﴾ [مريم:٥٩]، قالت نهر في جهنّم[2]، واختلفـوا في قولـه تعـالى: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝﴾ [الفلق:١]، فروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم[3]

---

(١) عبد الرزّاق في تفسـيره (٣٦٢/١)، وهنّـاد في الزهـد (٢٦٠)، وأبـو يعلـى (٢٦٥٩)، وابـن جريـر (٣٣٠/١٤، ٣٣١) ط. أخرى، والطبراني في الكبير (٩١٠٤، ٩١٠٥).

(٢) رواه البخاري في التاريخ الكبير، ورواه الطبراني في الكبير (٩١٠٦، ٩١١٣)، وهنّاد في الزهـد (٢٧٦)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٦/٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه الطبري (٣٤٩/٣٠)، وروي عن السدي والثوري وأبـي عبـد الرحمـن الحبلـي وعمـرو بـن

وقال كعب هو بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ذكره أبو نعيم وعنده عن حميد بن هلال قال: حدثت أن في جهنم تنانين ضيقها كضيق زجّ أحدكم في الأرض تضيق على قوم بأعمالهم[(١)].

وذكر ابن المبارك أن في جهنم قصراً يقال له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوي أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه:٨١]، وإن في جهنم وادياً يدعى أثاماً فيه حيات وعقارب، في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنّم حمة لدغتها فهو لما خلق له وأن في جهنم سبعين داء لأهلها كل داء مثل جزء من أجزاء جهنّم وإن في جهنم وادياً يسمى غيًّا يسيل قيحاً ودماً فهو لما خلق له قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩][(٢)].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في جهنّم بحراً أسود مظلماً منتن الريح يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره**»، رواه أبو هدبة إبراهيم بن هدبه[(٣)].

وعن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت: يا بلال

=عنبسه وغيرهم.

وروي مرفوعاً ولا يصلح قاله ابن كثير وانظر تفسير ابن كثير (٥٧٤/٤)، وقد رجح الطبري وابن رجب الحنبلي أنه الأولى والأقوى في تفسير من قال: (إنه الصبح).

(١) رواه هنّاد في الزهد (٢٢١)، وابن أبي شيبة (٣٤١٣٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٢، ٣٧١/٥).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣٦)، وابن أبي الدنيا في صفة النار.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٢٠٨/١)، والخطيب في التاريخ (٢٠٠/٦) بسند ضعيف جداً.

إن أباك حدثني عن جدك عن رسول الله ﷺ قال: «**إن في جهنّم وادياً ولذلك الوادي بئر يقال له هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار فإياك أن تكون منهم**»، رواه أبو نعيم[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن في جهنم وادياً يقال له: لملم وأن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره**»، أخرجه ابن المبارك[2] وعن الحسين بن علي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل مسكر حرام وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم وهم في المنسا، والمنسى بئر في جهنّم: المكذب بالقدر والمبتدع في دين الله ومدمن الخمر**»، رواه مالك والخطيب[3].

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار. يساقون حتى يدخلون سجناً في جهنم يقال له بوس يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال**»، أخرجه ابن وهب وابن

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٥٦)، وأبو يعلى (٧٢٤٩)، والدارمي (٢٨١٦)، والطبراني في الأوسط (٣٥٤٨)، والإسماعيلي في معجم الشيوخ (٢/٦٣٠-٦٣١)، وابن أبي شيبة (٣٤١٥٩)، وابن عدي (١/٤٢٩)، والعقيلي (١/١٣٤)، وابن حبان في المجروحين (١/١٧٨)، والحديث ضعيف قال ابن رجب في التخويف: أزهر بن سنان ضعّفوه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٧٨) من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال ابن رجب البغدادي: أخرجه ابن أبي الدنيا وغيره ويحيى ضعّفوه.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٣٣)، عن أبي هريرة بسند ضعيف.

المبارك[١]، وعنه عن النبي ﷺ قال: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنّم يسمى بوس يعلوهم نار الإيثار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»**. أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

وروى عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: **«المدينة مهاجري وفيها مضجعي ومنها مخرجي حقاً على أمتي حفظ جيراني فيها من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة ومن ضيّعها أورده الله حوض الخبال، قيل: وما حوض الخبال يا رسول الله؟! قال: «حوض من صديد أهل النار»**، قال القرطبي: غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه، لم يروه عنه غير أبي الزناد تفرّد به عنه ابنه عبد الرحمن والله أعلم[٢].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«تعوّذوا بالله من جبّ الحزن، فقيل: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنّم تتعوّذ منه جهنّم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين»**.

وفي رواية: **«للذين يراءون الناس بأعمالهم»**، أخرجه أسد بن موسى والترمذي وقال: في حديث أبي هريرة: **«مائة مرة»**. قلنا: يا رسول الله! ومن يدخله؟ قال: **«القراء المراءون بأعمالهم»** وقال هذا حديث غريب وخرجه

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٩٤)، والإمام أحمد (١٧٨/٢)، وابن المبارك في الزهد (٥٢) والحديث حسن.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١٠٩/٥، ٣٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٠٥/٢٠، ٤٧٠) بسند ضعيف، وله شاهد من حديث عائشة ولا يصلح أيضاً. ذكره الذهبي في الميزان (١٠٨/٦).

ابن ماجه أيضاً.

عن أبي هريرة ولفظه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعوّذا بالله من جب الحزن قالوا: يا رسول الله! وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل: يا رسول الله! ومن يدخله؟ قال: أعد للقراء المرائين بأعمالهم وأن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء»**، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة أيضاً ولفظه بعد قوله: **«أربعمائة مرة يلقى فيه الغوارون قيل: يا رسول الله! وما الغوارون؟ قال: «المراؤون بأعمالهم في الدنيا»** قال في **«مجمع الزوائد»** وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه. انتهى[1].

(١) الحديث رواه الترمذي (٢٣٨٣)، من طريق عمار بن سيف عن أبي معان البصري عن ابن سيرين وعن أبي هريرة مرفوعاً وقال حسن غريب، وفيه: «تتعوذ منه جهنم كل يوم مئة مرة».
ورواه ابن ماجة (٢٥٦)، وفيه كل يوم أربعمائة مرة ورواه الطبراني في الأوسط (٣٠٩٠)، وابن حبان في المجروحين (١/١٩٤-١٩٥)، من طريق رواد بن الجراح عن أبي الحسن الحنظلي عن بكير بن شهاب الدامغاني عن ابن سيرين به مرفوعاً وفيه أربعمائة مرة قال أبو حاتم: ليس لهذا الحديث أصل بهذا الإسناد ثم ذكر رواية غمار بن سيف ورواه في الأوسط أيضاً (٦/٨٩)، من حديث محمد بن ماهان نا محمد بن الفضل بن عطية عن سليمان التيمي عن ابن سيرين به وذكر فيه أربعمائة مرة.
ورواه ثابت بن محمد أبو إسماعيل الكوفي ثنا عمار بن سيف عن أبي معان به.
رواه البخاري في التاريخ (٢/١٧٠)، وقال: أبو معان لا يعرف له سماع من ابن سيرين وهو مجهول.
ورواه أبو بكر الداهري عن سفيان عن أبي إسحاق وعاصم عن علي ﷺ مرفوعاً وفيه كل يوم سبعين مرة رواه العقيلي.
والحاصل أن هذا الحديث إنما يحفظ من رواية عمار بن سيف على الرغم من ضعفها.

قال المحاربي: وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه ﷺ: «**قال إن في جهنّم لوادياً أن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وأن في ذلك الوادي لجبًّا أن جهنم وذلك الوادي ليتعوَّذان الله من شر ذلك الجبّ وأن في ذلك الجبّ لحية أن جهنم والوادي وذلك الجبّ ليتعوّذون من شر ذلك الحية، أعدّها الله للأشقياء من حملة القرآن**».

وقال أبو هريرة: إن في جهنّم لرحىً تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا فيقول: ما صيّركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره. قال القرطبي: وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد[١] وقال أبو المثنى إلا ملوكي: «**أن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة**» قال محمد بن كعب القرظي: أن لمالك مجلساً في وسط جهنّم وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها: الحديث[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٩).

(٢) التخويف من النار (ص١٨٧).

باب
في بيان قوله تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ وفي ساحل جهنّم ووعيد من يؤذي المؤمنين

عن زيد بن شجرة قال: وكان معاوية بعثه في الجيوش يلقى عدواً، فرأى في أصحابه فشلاً فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، اذكروا نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه: «إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم، فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان ها نورك، يا فلان لا نور لك، إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال الدهم. فإذا استغاث أهل النار قالوا: الساحل، فإذا ألقوا فيها سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم يكشطها كشطاً فيقولون: النار النار، فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعاً، قال: يقال: يا فلان هل تجد هذا يؤذيك، فيقول: وأي أذى أشد من هذا، قال: يقال: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين»[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: إن صعوداً صخرة في جهنّم إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت فإذا رفعوها عادت؛ أخرجه ابن المبارك[2].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣٠).

(٢) في الزهد (٣٣٥).

قال ابن عمر وابن عباس: هذه العقبة جبل في جهنم[١]. وقال محمد بن كعب وكعب الأحبار، وهي سبعون درجة في جهنم[٢]، وقال الحسن وقتادة: هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل[٣]، وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط وقيل النار نفسها[٤]، وقيل هو جبل بين الجنة والنار، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح. ثم بين اقتحامها بما يكون فقال ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١٣]، الآية.

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين: معنى للكلام الاستفهام تقديره، أفلا اقتحم العقبة، يقول: هلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي، وقيل: في الكلام التمثيل والتشبيه، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتؤذيه وتثقله، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبة يستوي عليها ويجوزها، قال القرطبي: هذا حديث حسن، قال الحسن: هي والله عقبة شديدة: مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان[٥].

---

(١) رواه الطبري (٢٠١/٣٠)، عن عبدالله بن عمر وعزاه في الدر (٣٥٤/٦)، لابن أبي حاتم وفي التذكرة عن ابن عمرو وهو خطأ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم والطبري (٢٠٢/٣٠)، وابن المنذر.

وروي بلفظ: جبل زلال في جهنم رواه ابن أبي شيبة (٣٤٦٤٠)، وابن أبي حاتم (١٩٣٢٣)، وابن جرير (٢٠١/٣٠)، وروي عن الحسن نحوه.

(٣) رواه الطبري محمد بن جرير في التفسير (٢٠٢/٣٠) وعبد الرزّاق عن قتادة (٣٧٤/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم وروي ذلك عن أبي عباس وانظر الدر المنثور (٤٤٤/١٥-٤٤٦).

(٥) تفسير القرطبي الجامع (٦٧/٢٠).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لأن أجمع أناساً من أصحابي على صاع من طعام أحب إليّ من أن أخرج إلى السوق فأشتري نسمة فأعتقها، أخرجه الطبراني في كتاب «**مكارم الأخلاق**»[1].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٤٦)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٦٤٢)، وهنّاد في الزهد (٦٤٢).

باب
ما جاء في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾

الوقود بالفتح: الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر، والناس عام ومعناه الخاص، أي: من سبق عليه القضاء إنه يكون حطباً لها أجارنا الله منها بكرمه، قال القرطبي: حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل[١].

عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «**يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار الخيل في سبيل الله تبارك وتعالى، ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرءوه وقالوا: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل ترون في أولئكم من خير؟ قالوا: لا، قال: أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار**»، خرجه ابن المبارك[٢]، والحجارة هي حجارة الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء[٣].

قال ابن مسعود: وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الإيقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة

---

(١) قاله القرطبي (٢/١٨٤-١٨٥).
(٢) في الزهد (٤٥٠)، موسى بن عبيدة قال الإمام أحمد: لا تحل الرواية عنه.
(٣) رواه ابن جرير (١/١٦٨-١٦٩)، وانظر تفسير ابن كثير (١/٦٢).

الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت[١]، وقيل: المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، والحصب ما يلقى في النار مما تزكى به، وعليه فيكون الحجارة والناس وقوداً للنار. وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة قال القرطبي: وفي الحديث عن النبي ﷺ إنه قال: «**كل مؤذٍ في النار**» وفي تأويله وجهان: أحدهما: إن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار. الثاني: كل ما يؤذي الناس في الدنيا من السباع والهوام وغيرها في النار معد لعقوبة أهل النار، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين والله أعلم[٢].

---

(١) هذا ليس قول ابن مسعود وإنما هو من كلام القرطبي وقد ذكره الطبري في التفسير (١٦٨/١) بنحوه.

(٢) قاله القرطبي (١٨٥/٢-١٨٦)، قال ابن كثير بعد أن أورد كلام القرطبي: وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف انظر تفسير ابن كثير (٦٢/١).

باب
ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وأن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وأن ضرسه مثل أحد**»، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، في أسانيدهم أبو يحيى القتات وهو ضعيف وفيه خلاف: وبقية رجاله أوثق منه، قاله في «**مجمع الزوائد**»[1].

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**يقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام كل ضرس مثل أحد وفخذه مثل ورقان وجلده سوى لحمه وعظمه أربعون ذراعاً**»، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**». رواه مسلم[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٢٦)، قال ابن كثير انفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/٢٩)، وأبو يعلى (١٣٨٧)، والحاكم (٤/٤٦٠) بسند ضعيف.

(٣) مسلم (٢٨٥١).

وأخرج الترمذي عن النبي ﷺ: **«قال أن جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وأن ضرسه مثل أحد وأن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة»**، قال هذا حسن صحيح غريب من حديث الأعمش، وفي رواية: **«وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة»** أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث حسن غريب[١].

وعن أبي هريرة قال: ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب، خرجه ابن المبارك[٢].

وعن أبي هريرة قال: ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء وجبينه مثل الورقان ومجلسه من الانر كما بين الورقان وبين الربذة وكف بصره سبعون ذراعاً وبطنه مثل أضم، قال الجوهري: أضم بالكسر جبل، قال القرطبي: الورقان جبل بالمدينة[٣].

وعن عبيد بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ: **«بصر الكافر يعني غلظ جلده سبعون ذراعاً وضرسه مثل أحد في سائر خلقه»**، خرجه ابن المبارك وذكر عن عمرو بن ميمون: أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده

---

(١) الترمذي (٢٥٧٧، ٢٥٧٨) والحديث صحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٠٣)، قال الدارقطني (١٧٧/٩)، وروي موقوفاً عن أبي هريرة وهو الصحيح.

وروي موقوفاً عن أبي هريرة وهو الصحيح.

(٣) رواه ابن المبارك (٣٠٤)، وهنّاد (٢٩٧)، والحاكم (٦٣٧/٤، ٦٣٨) بسند صحيح.

دوى كدوى الوحش(١).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس**». رواه الترمذي(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر يوم القيامة، مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة**»، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربعي بن إبراهيم وهو ثقة(٣).

وهو يزيد بن حبان التيمي قال: انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم وحدثنا زيد في مجلسه ذلك قال: الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون ضرس من أضراسه مثل أحد، قال في «**مجمع الزوائد**» قلت رواه أحمد في حديث طويل ورجاله رجال الصحيح(٤). وعن ثوبان قال: وسئل رسول الله ﷺ قال: «**ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار**»، رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات(٥).

---

(١) رواه ابن المبارك (٣٠٥)، وكلام عمرو بن ميمون في الزهد أيضاً (٣١١) والحديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٠)، وضعّفه ابن حجر رحمه الله.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٢٨/٢)، ومجمع الزوائد (٣٩١/١٠)، وعبد الرحمن بن إسحاق مدني صدوق وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٦٦/٤)، وانظر مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠).

(٥) لم أجده عن ثوبان وروي من حديث أبي هريرة وفيه عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار يخطئ.

عن سمرة بن جندب أن نبي الله ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته وفي رواية إلى حقويه**». أخرجه مسلم[1].

قال القرطبي: هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه، وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم.

ومن خبر كعب الأحبار: يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم بمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره[2].

---

(١) مسلم (٢٨٤٥).

(٢) التذكرة (١٨٩/٢).

وذكر القتبي في «عيون الأخبار» له مرفوعاً عن أبي هريرة أنه قال: **«وإن زادت حسناته على سيئاته حبس على الصراط سبعين سنة ثم بعد ذلك يدخل الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار، فيعذّبون في النار، على قدر أعمالهم ومنهم من ينتهي النار إلى ركبتيه، ومنهم من ينتهي النار إلى وسطه»**[١].

وذكر الفقيه أبو بكر بن برّجان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام:١٣٢]، قال: أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذا الحديث أهل التوحيد، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر اشتملته النار في الآخرة[٢].

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦]، وعن الحارث بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها»**[٣].

---

(١) لم أجده بهذا السياق.

(٢) تفسير ابن برجان من التفاسير المخطوطة، واسمه الإرشاد، وابن برجان هو أبو الحكم بن برجان ولم أجد من أطلق عليه أبو بكر سوى القرطبي وعنه نقله مؤلفنا رحمهم الله تعالى جميعاً.

(٣) رواه ابن ماجة (٤٣٢٣)، وهنّاد (٢٩٦)، وعبد بن حميد (٤٤٣)، والإمام أحمد (٢١٢/٤، ٣١٢/٥) بسند ضعيف.

باب
ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذاية أهل النار بذلك

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**». خرجه مسلم[١] وذكره قاسم بن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي والمصور يصور التماثيل**»[٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**»، خرجه أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب وفي إسناده عثمان بن مقسم البري لم يرفعه غيره، وهو ضعيف عند أهل الحديث، معتزلي المذهب ليس حديثه بشيء. قاله أبو عمر[٣].

وعن ابن زيد قال: يقال أنه ليؤذى أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة. ويذكر عن بعض أهل العلم قال: ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار، وكل أهل النار في أذى، رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٥١٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤٠٧/١)، والطبراني في الكبير (١٠٤٩٧، ١٠٥١٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٢/٤) وانظر العلل للدارقطني (٣٠٤/٥).

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٥٠٧)، وابن عدي في الكامل (٤٠/٣، ١٥٨/٥)، وابن عبد البر في جامع العلم (١٦٢/١)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٧٨) من طريق ابن وهب، عثمان بن مقسم متروك.

الجحيم، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار، فيقول لهم: أهـل النـار ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا فقالوا كنا متكبرين.

ورجال قد شقت بطونهم يسحبون في النار أمعـاءهم فقـال: لهـم أهـل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قـالوا: كنـا نقتطـع حقـوق الناس بإيماننا وأماناتنا، ورجال يسعون بين الجحيم ولاحميم لا يقـرون قيـل لهم: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نسعى بين النـاس بالنميمة ذكره ابن المبارك[1].

وعن شفي بن ماتع الأصبح عن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم يدعـون بـالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونـا علـى مـا بنا من الأذى، قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجـل يجـر أمعـاءه يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، قال: فيقال لصاحب التابوت: مـا بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء أو قال وفاء، ثم يقال للذي يجر أمعـاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، قال: فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله، ثم يقال للذي يسـيل فـوه قيحـاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، قال: فيقول: إن الأبعـد كان ينظر في كل كلمة بدعة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعـها**

(١) الزهد (١٣٤٥).

أي: يفشيها، ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، قال: فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة».

خرجه الحافظ أبو نعيم وقال تفرد به إسماعيل بن عياش، وشفى مختلف فيه فقيل له صحبة[١].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/١٦٧-١٦٨)، وابن المبارك في الزهد (٣٢٨)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٨٦)، والطبراني في الكبير (٧٢٢٦) والحديث مرسل ضعيف.

باب
في عذاب من عذب الناس في الدنيا

عن خالد بن الوليد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا**». رواه أبو داود الطيالسي وخرجه البخاري في التاريخ[١]، وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس**»[٢].

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٩٠)، والحميدي (٥٦٢)، والطيالسي (١١٥٧)، والبخاري في التاريخ (١٤٣/٣)، والحديث صحيح.
(٢) مسلم (٢٦١٣).

باب
في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفي أعوان الظلمة كلاب النار

عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه. فيطيف به أهل النار فيقولون: أي: فلان ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله»، رواه البخاري وخرجه مسلم بمعناه[1].

عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[2].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسرى بي على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت، قلت:

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٧، ٧٠٩٨)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) راجع الحديث السابق.

من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون»، أخرجه الحافظ أبو نعيم، وروى مثله ابن المبارك أيضاً ولفظه في آخره «**الذين يأمرون بالناس بالبر وينسون أنفهسم وهم يتلون الكتاب**»[1].

وعن الشعبي قال: تطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم في النار فيقولون: ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأهيبكم وتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله»، رواه ابن المبارك[2].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء**»[3]، أخرجه أبو نعيم، وهذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر لم يكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار**»، رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاوس تفرد به محمد بن مسلم الطائفي عن ابن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٨/٣، ٢١٠، ٢٣١)، وفي الزهد (ص٤٥)، وأبو يعلى (٣٩٩٦)، وعبد بن حميد (١٢٢٢)، والطيالسي (٢٠٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٩/٨) والحديث صحيح مشهور.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣١٢/٤)، وابن المبارك في الزهد (٦٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٣١/٢، ٢٢٢/٩)، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (٨٠)، والبيهقي في المدخل (٥٦٥) قال الإمام أحمد فيما نقل عنه ابنه: (هذا حديث منكر).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١/٤)، وفي إسناده محمد بن مسلم الطائفي يخطئ في الحفظ.

فصل

قال بعض السادة: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل ملك عبداً فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن، وعصى السيد، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه واغبناه، أما هذا عبدي أما كنت مالكاً لمهجته وماله، وقادراً على جميع ماله، فماله سعد ومالي شقيت، فيناديه الملك الموكل به: لأنه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسأت ورجل كسب مالاً فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه وقدمه بين يديه.

فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة وأمر بصاحب المال إلى النارن فيقول: واحسرتاه واغبناه، أما هذا مالي فأحسنت به أحوالي وأعمالي؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنه أطاع الله وما أطعته وأنفق لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت، ورجل علم قوماً ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل.

فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار، فيقول: واحسرتاه واغبناه أما هذا علمي فما لهم فازوا به وما فزت وسلموا به وما سلمت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنهم عملوا بما قلت وما عملت، فسعدوا وشقيت ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله.

قال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات: لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤]، الآية.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨][١].

قال القرطبي رحمه الله: وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة ما كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه. وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزئ ممن لم ينفعه الله بعلمه[٢].

وقد قال ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**». وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذي كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا**»[٣].

قال القرطبي في التذكرة: إن قال قائل في حديث أبي سعيد الخدري: «**أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها احترقوا فيها وماتوا**» على ما ذكرتموه في أصح القولين وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه فكيف الجمع بينهما؟ قيل له: الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ

---

(١) ذكره القرطبي في التفسير (٣٦٧/١)، وابن كثير (٨٧/١).

(٢) مرّ تخريجه.

(٣) ذكره القرطبي في التفسير (٣٦٥/١)، وبيّن ضعفه.

وكلام القرطبي في التذكرة (١٩٦/٢-١٩٨).

ﵟٱلۡعَذَابَۗﵞ [النساء:٥٦]، قال الحسن: تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة، والعصاة بخلاف هذا فيعذبون وبعد ذلك يموتون، وقد تختلف أيضاً أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم.

وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء. دليله قوله تعالى: ﵟوَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ﵞ [غافر:٤٥-٤٦].

فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى، ومثله ما جاء في حديث البراء من «**قول الكافر: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة**» لأنه يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم.

وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة لغيرهم كما في حديث سمرة الطويل، إلا أن قوله في حديث أسامة بن زيد «**يوم القيامة**» يدل على ذلك، وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم، نعوذ بالله من ذلك(١).

---

(١) التذكرة (٢/١٩٨-١٩٩).

باب
ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

تقدم في باب الآيات من ذلك ما يشفي ويكفي وفيها أن ثيابهم من نار وسرابيلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضريع والغسلين، قال الهروي: معناه صديد أهل النار وما يتغسل ويسيل من أبدانهم، والغساق ما يسيل من صديدهم، وقيل: القيح الغليظ.

قال ابن عمر: لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أنتنت أهل المشرق[1]، وقيل الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير، وقال كعب: هو عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فيستنقع ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام فيجر لحمه من كعبيه كما يجر الرجل ثوبه جزاءً وفاقاً، أي: وافق أعمالهم الخبيثة[2]، واختلف في الضريع فقيل: هو نبت ينبت في الربيع وقيل: هو الشوك، وقيل: الحجارة، وقيل: الزقوم، وقيل: وادٍ في جهنم[3].

قال القرطبي: قال المفسرون الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها يحيى بلهب النار كما تحيى الشجرة ببرد الماء فلابد لأهل النار من أن ينحدر إليه

(١) رواه الطبري (١٧٧/٢٣).

(٢) رواه الطبري (١٧٧/٢٣)، وقوله وافق أعمالهم الخبيثة من كلام القرطبي.

(٣) تفسير الطبري (١٦١/٣٠).

من كان فوقه فيأكلون منه، وقال أبو عمـران الجونـي: بلغنـا أن ابـن آدم لا ينهش منها نهشه إلا نهشت منه مثلها، والمهل مـا كـان ذائبـاً مـن الفضـة والنحاس، وقيل: المهل عكر الزيت الشديد السواد[1].

(١) التذكرة (٢/٢٠٢)، وراجع هذه الأقوال وغيرها في هذا الباب في كتاب ابن رجـب البغـدادي في هذا الشأن (ص١٤٦-١٤٩).

باب
ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجابتهم

عن محمد بن كعب القرظي قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع فإذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١﴾ [غافر:١١]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر:١٢]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة:١٢]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [السجدة:١٤]، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤﴾ [إبراهيم:٤٤].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر:٣٧]، ويقولون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٨]، أي: بعدها أبداً، رواه

البيهقي[١] وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا، فقال أخبرنا الحكم بن عمر بن أبي ليلى قال: حدثني عامر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: بلغني.. وذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر:٤٩]، فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب، فردت عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [غافر:٥٠]، فردت عليهم الخزنة فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال، قالوا فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكاً وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فيرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

قال سألوا الموت فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، قال والسنة ستون وثلاثمائة شهر والشهر ثلاثون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون.

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٧]، فلما سمعوا منها ما سمعوا وأهيبوا مما قيل لهم قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم بالتصبر فلعل الصبر ينفعلنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم:٢١]، أي: من

(١) رواه البيهقي وابن أبي حاتم وآدم بن أبي إياس كما في التخويف (ص٢٠١-٢٠٢).

منجا، قال: فقام إبليس عند ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ -إلى قوله- وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم:٢٢]، قال: فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال: فنودوا ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ -إلى قوله- فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١٠-١١]، قال: فرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر:١٢]، قال: فهذه واحدة، فنادوا الثانية: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧].

قال: فرد عليهم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ يقول: لو شئت لهديت الناس جميعاً فلم يتخلف منهم أحد، ﴿هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٣-١٤].

قال فهذه ثنتان فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ -إلى قوله- لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٦].

قال: فهذه الثالثة، ثم نادوا الرابعة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قال: فيجيبهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن

تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧]، ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون:١٠٥].

قال: فلما سمعوا صوته قالوا: لأن يرحمنا ربنا، فقالوا: عند ذلك ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦]، أي: الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوماً ضالين، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فقال عند ذلك: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨]، فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم.

قال: فحدثني الأزهري بن الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦][1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف:٧٧]، قال: والله هانت دعوتهم على مالك ورب مالك قال: ثم يدعون ربهم فيقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون:١٠٦]، الآية. قال: فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين قال: ثم يرد عليهم ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨].

قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار

---

(١) ذكره القرطبي في التذكرة (٢/٢٠٤-٢٠٨).

جهنم، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق، ومعنى «ما نبس» ما تكلم، قال الجوهري: يقال: ما نبس بكلمة أي: ما تكلم، أخرجه ابن المبارك[1].

وعن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**يلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيقولون:** ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر:٥٠].

قال: فيقولون: ادعوا مالكاً فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ **قال: فيجيبهم:** ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف:٧٧]، **-قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام- قال: فيقولون: ادعو ربكم فلا أحد خير من ربكم قال: فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال فيجيبهم** ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ **قال فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل**» أخرجه الترمذي.

---

(١) في الزهد (٣١٩)، وهنّاد (٢١٤)، وابن جرير (٩٩/٢٥)، والحاكم (٣٩٥/٢).

وزاد رزين: «فيقال لهم: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ۝﴾ [الفرقان:١٤]»، والحديث رفعه قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن شهر بن عطية عن شهر بن حوشب وهو ثقة عند أهل الحديث، والناس يوقفونه على أبي الدرداء قوله[1].

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١٠٣]، قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته[2] ولسرادق النار أربع جدر وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ولو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[3] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح وعنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قال: كعكر الزيت فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه»[4] قال: أبو عيسى هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، ورشد قد تكلم فيه من قبل حفظه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٦)، والطبري (٥٩/١٨) مرفوعاً.
ورواه ابن أبي شيبة (٣٤١٢٩) موقوفاً.
قال ابن رجب: وقيل: وقفه أشبه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٧، ٣١٧٦)، والإمام أحمد في المسند (٨٨/٣)، وفي الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٢٩٢)، وأبو يعلى (١٣٦٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٢/٨)، والحاكم (٢٦٩/٢، ٤٢٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٨٤)، والإمام أحمد (٢٩/٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٨١، ٢٥٨٤، ٣٣٢٢)، والإمام أحمد (٧٠/٣)، وعبد بن حميد (٩٣٠)، وابن المبارك (٣١٦)، والطبراني في الأوسط (٣١٣٧)، والطبري في التفسير (١٣٢/٢٥)، وابن حبان (٧٤٧٣)، والحاكم (٥٤٤/٢، ٦٤٦/٤) والأحاديث السابقة كلها ضعيفة.

قال القرطبي: وقع في الحديث «فروة وجهه» وهو شاذ إنما يقال: فروة رأسه أي: جلدته هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء في حديث أبي أمامة عن أبي حجيرة[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جلده فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٢].

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم:١٦-١٧]، قال: «**يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره فيقول الله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ۝﴾ [محمد:١٥]، ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝﴾ [الكهف:٢٩]**» قال حديث غريب[٣].

---

(١) التذكرة (٢/٢١١).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٨٢)، والإمام أحمد (٢/٣٧٤)، وابنه في الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٣)، والطبري (١٧/١٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٨٢-١٨٣)، والحاكم (٢/٤١٩) بسند ضعيف.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٨٦)، والنّسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، والإمام أحمد (٥/٢٦٥)، وابنه في زوائد الزهد (ص٢٠)، وابن المبارك في الزهد (٣١٤)، والطبراني في الشاميين (٩٢٤)، وفي الكبير (٧٤٦٠)، وابن عدي (٤/١٧٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/١٨٢).

وفي إسناده عبيد الله وقيل عبدالله بن بسر وهو مجهول.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيـة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]، وقـال: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه**» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه أيضاً[1].

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٥)، والنّسائي في الكبرى (١١٠٧٠)، وابن ماجة (٤٣٢٥)، والإمام أحمد (٣٠٠/١، ٣٣٨)، والطيالسي (٢٦٤٣)، والطبراني في الكبير (١١٠٦٨)، وفي الصغير (٩١١)، وابن حبان (٧٤٧٠)، والحاكم (٣٢٢/٢، ٤٩٠)، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم.

باب
ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها

عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت**» أخرجه ابن المبارك قال في «**مجمع الزوائد**»: رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه، انتهى[1].

وأخرج ابن ماجه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت**»[2].

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه**»، أخرجه مسلم وفي رواية: «**من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً**»، أخرجه الشيخان والترمذي[3].

---

(١) رواه أبو يعلى (٤١٣٤)، وابن المبارك في الزهد (٢٩٥)، وفي إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف وعمران بن زيد التغلبي لين الحديث.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٣٢٤) بسند ضعيف جداً فيه يزيد الرقاشي.

(٣) البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهون أهل النار أبـو طـالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»، رواه البخاري[(١)].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله لأهون أهل النـار عذاباً يـوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقـول: نعـم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنـت في صلـب آدم أن لا تشـرك بـي شيئاً فـأبيت إلا أن تشـرك بـي**» متفـق عليـه[(٢)]، وروي عـن أبـي موسـى الأشعري مرفوعاً أنه قال: «**إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لـو أجريت فيه السفن لجرت ثم إنهم يبكون الدم بعد الدموع ولمثل مـا هـم فيـه قليـل، وفي التـنزيل** ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة:٨٢]»[(٣)].

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتـم قليـلاً ولبكيتم كثيراً**»[(٤)] **من كثر بكاؤه خوفاً من الله تعـالى وخشيـة منـه ضحـك كثيراً في الآخرة قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة:** ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦]، **ووصف أهل النار فقـال:** ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين:٣١]، **وقـال:** ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون:١١٠]» رواه الترمذي.

---

(١) البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣).

(٢) رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/٢٦١).

(٤) رواه الترمذي (٢٣١٢) والحديث صحيح.

باب
لكل مسلم فداء من النار من الكفار

عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ في السجود طويلاً ثم يقال: ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدنكم فداءكم من النار**» أخرجه ابن ماجه[١] وعنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ويقال: هذا فداءك من النار**»[٢].

قال القرطبي[٣]: وهذا الحديثان وإن كان إسنادهما ليس بالقوي قال الدارقطني: جبارة بن المغلس متروك فإن معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار**»[٤] وفي رواية أخرى: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً**» قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ[٥].

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٩١) وهذا سند ضعيف جداً.
(٢) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٨)، وابن ماجة (٤٢٩٢)، والروياني في مسنده (٤٦٧) والحديث ضعيف.
(٣) التذكرة (٢/٢١٥).
(٤) مسلم (٢٧٦٧).
(٥) مسلم (٢٧٦٧).

فصل

قال علماؤنا رحمهم الله في هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك وإنما هي في ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل إنسان منهم فكاكاً من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى**»، أخرجه مسلم[1] ومعنى يغفرها لهم أي: يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا، ومعنى الوضع أي: يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبي المسلمين لو أخذوا بذلك؛ لأنه تعالى لا يأخذ أحداً أحداً كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته إذ لا يسئل عما يفعل، وفي الرواية الأخرى: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهودياً أو نصرانياً**»[2] فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه أضاف الله ذلك المكان إلى يهودي أو نصراني ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله ﷺ في حديث أنس: «**يقال للمؤمن الذي ثبت عند**

---

(١) مسلم (٢٧٦٧).

(٢) مرّ تخريجه.

السؤال في القبر: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة».

قال القرطبي: قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً أو غير مذنب منزلين: منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، وذلك هو معنى قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١٠]، أي: يرث المؤمنون منازل الكفار ويحصل الكفار في منازلهم في النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبي ﷺ «**العبد إذا وضع في قبره**» الحديث إلا أن هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث ولا حساب ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال النار والله أعلم[١].

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة ورثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]، والله أعلم.

(١) التذكرة (٢/٢١٦-٢١٨) باختصار.

باب
في قوله تعالى ﴿وتقول هل من مزيد﴾

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط: وعزتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة**». أخرجه مسلم والبخاري والترمذي[1] وفي رواية من حديث أبي هريرة «**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ وتزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فالله ينشأ لها خلقاً**».

قال القرطبي: وللعلماء في قول النار: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق:٣٠]، تأويلان:

أحدهما: وعدها ليملأها فقال: أوفيتك، فقالت: وهل من مسلك إن قد امتلأت وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث.

الثاني: «زدني زدني» تقول ذلك غيظاً على أهلها وحنقاً عليهم كما قال: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾، أي: تنشق ويبين بعضها من بعض، وهي عبارة عمن يستأخر دخوله في النار من أهلها وهم جماعات كثيرة؛ لأن أهل النار يلقون فيها فوجاً فوجاً كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك:٨].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨)، والترمذي (٣٢٧٢).

ويؤيده أيضاً قوله في الحديث: «**لا يزال يلقى فيها**». فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته. فإذا استوفي كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة: قط قط أي: حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذٍ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل فتقول جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس، أي: جماعة منهم والجمع أرجل، ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث: «**ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم فضل الجنة**»، وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم[1].

وفي التنزيل ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، قال ابن عباس: المعنى منزل صدق وقال: الطبري عمل صالح، وقيل: هو سابقة الجنة، فدلّ على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة والله الموفق، قال ابن فورك، وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ويضيفه

(١) مسلم (٢٨٤٨).

إليه من طريق الفعل يضعه في النار فتمتلئ النار منه، قال القرطبي: وهنا نحو ما قلناه في الرجل. انتهى كلام القرطبي[١] وأقول كل ما ذكر القرطبي هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها، ونقل ابن فورك «**القدم خلق**» إلخ لا يقبل حتى يدل عليه دليل من السنة، وأنى ذلك الدليل عند أهل التأويل، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفة المنتحلين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين، ولهذا حذر النبي ﷺ وقال «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**» رواه البيهقي في كتاب «**المدخل**»[٢].

عن إبراهيم العذري ولهذا كان السلف الصالحون يجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ولم يكونوا يؤولون شيئاً منها بشيء من عند أنفسهم حذراً من مضادة مراد الله ورسوله في تأويل تلك النصوص، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك.

فمن أول شيئاً من صفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحقة وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم، وقد انتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين وردوا عليهم أقوالهم حرفاً حرفاً

---

(١) التذكرة (٢/٢١٨-٢٢٠).

(٢) الحديث يروى من وجوه كثيرة حققه أكثر أهل العلم، وصححه الإمام أحمد وحسّنه الحافظ العلائي وبعض المعاصرين والله أعلم، ولم أجده في المدخل للبيهقي.

وأوضحوا خطأهم في إيثار التأويل على التفويض لفظاً لفظاً، وألفوا في ذلك كتباً جمة مطولة ومختصرة قديماً وحديثاً وكثرت فيها الزلازل والقلاقل حتى آل الأمر إلى المقاتلة والمجادلة والتكفير والتضليل في كل زمان ومكان وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً.

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكييف أو يعطلوا صفاته العليا أو يؤولوا أسماءه الحسنى، بل هم أشد الناس رداً على المجسمة المشبهة وأغضبهم في سبيل الله على الجهمية المعطلة، وإنما ينسبهم إلى التجسيم من هو جاهل سفيه لا يعرف صورهم ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة، ولا يحوم حولهما ولا يفهم معانيهما.

وقد زل قدم قوم من أهل المعرفة بالأخبار أيضاً في هذا المقام حتى ذهبوا إلى التأويل كالبيهقي في الأسماء والصفات، وكالقرطبي عفا الله عنا وعنهم بمنه وكرمه، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب المعتبرة فلا تسئل عنهم فإنهم بمعزل عن حلاوة الاتباع وعلى مراحل شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة رزقنا الله تعالى اقتداء سلف الأمة وأئمتها وجنبنا عن تقليد الرجال، وحفظنا عن اختيار الآراء في مقابلة نصوص كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم وهو المستعان.

باب
في ذكر آخر من يخرج من النار
وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه إنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول الله: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا أو عشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك قال: فقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال: فيقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[1].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبوا مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الله وتعالى الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحد من الأولين والآخرين.

فترفع له شجرة فيقول: أي: رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تعالى: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني عن غيرها فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسئله غيرها، وربه يعذره لأنه

(١) رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي: رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها.

فيقول: ابن آدم لعلي إن أدنيتك منها تسالني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول مثل قوله فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي: رب أدخلنيها. فيقول: ابن آدم ما يضرني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول: أي: رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين.

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ فقالوا: مما تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مما تضحك يا رسول الله؟! قال: من ضحك رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك لكني على ما أشاء قدير»، أخرجه مسلم[1].

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين»، ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي[2] في كتاب «الاختيار في الملح من الأخبار

---

(١) مسلم (١٨٧).

(٢) هو محدث مكة الميانشي صاحب كتاب «ما لا يسع المحدث جهله» الذي حققه شيخنا صبحي السامرائي، والمتوفى سنة (٥٨١هـ) ويقال (٥٨٣هـ) وأما هذا الكتاب فلا علم لي به.

والآثار»، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم.

وعنه عن النبي ﷺ: «**أن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقي من الخلائق أحد**»، رواه الدارقطني في كتاب «**رواة مالك**»[١] ذكره السهيلي، وقد قيل: أن اسمه هناد والله أعلم[٢].

(١) طبع.

(٢) ذكره الذهبي في الميزان (١٥١/٨)، وعزاه للدارقطني ثم قال: والحديث باطل.

باب

ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادي يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار

عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناساً من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝﴾ [الحجر:٢]» أخرجه الطبراني[١].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أن عبداً في جهنم ينادى ألف سنة يا حنان فيقول الله تعالى لجبريل: ائت عبدي فلاناً فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل منكبين على وجوههم قال: فرجع يقول: يا رب لم أره فيقول تعالى: إنه في مكان كذا وكذا قال: فيأتيه فيجيء به فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك قال: فيقول: شر مكان وشر مقيل قال: فيقول: ردوا عبدي فيقول: يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني فيقول الله تعالى: دعوا عبدي»، رواه أبو ظلال هلال بن أبي مالك القسملي، يعد في البصريين[٢].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥١٤٦)، والنسائي في الكبرى (١١٢٧١).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٠/٣)، وأبو يعلى (٤٢١٠)، وابن حبان في المجروحين (٨٦/٣)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١١٠)، والحديث ضعيف وهلال أبو ظلال ضعيف الحديث.

وعن سعيد بن جبير قال: إن في النار لرجلاً أظنه في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف سنة يا حنان يا منان فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول: يا رب إنها عليهم مؤصدة فيقول: يا جبريل ارجع ففكها فأخرج عبدي من النار فيفكها فيخرج مثل الجبال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودماً»، ذكره أبو نعيم[1].

وروى ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي**»، الحديث وفيه: «**وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة**»[2].

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم: كنتم وإيانا جميعاً في الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم، نحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون كما نعذب وتخلدون فيها كما نخلد، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً لم يغضب مثله من شيء فيما مضى.

ولا يغضب في شيء فيما بقي، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة فيرش عليهم من الماء فينبتون كما ينبت

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٨٥).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/٣٦).

الحبة في حميل السيل فما يلي الظل منها أخضر، وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنة فيكتب على جباههم عتقاء الله من النار إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة.

ثم ينادي: يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكاً فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ثم يرجع فيقول: إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلان من النار منذ سبعين عاماً فلم أقدر عليه فيقول الله تعالى انطلق فهو في وادي كذا تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله عز وجل أن يمحي عنهم ذلك الاسم فيبعث الله ملكاً فيمحاه عن جباههم.

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى جاره ويرى صديقه ويرى العبد مولاه، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق ويشد بتلك المسامير، وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل عليهم منها روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفير وشهيق فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة:٨-٩]».

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فنزلت الملائكة

فصاروا صفوفا فيقول الله تعالى لجبريل: ائت بجهنم فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت بها أفئدة الخلائق.

ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى أن إبراهيم الخليل يقول: بخلتي لا أسألك إلا نفسي ويقول موسى: بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي وأن عيسى يقول: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني.

ومحمد ﷺ يقول: أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي إنما أسألك أمتي قال: فيجيبه الجليل جل جلاله: أن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به فيقول لهم الله تعالى وتقدس: معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إلى النار فقد اشتد عليهم غضبي بتهاونهم بأمري في دار الدنيا واستخفافهم بحقي وانتهاكهم بحرمتي يستخفون من الناس ويبارزوني مع كرامتي لهم وتفضلي إياهم على الأمم، ولم يعرفوا فضلي وعظيم نعمتي.

فعندما تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النار، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسودا وجهه قد وضعت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة

وضعت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال: لهم معاشر الأشقياء من أي: أمة أنتم فما ورد علي أحسن وجوهاً منكم فيقولون: يا مالك نحن من أمة القرآن فيقول: لهم معاشر الأشقياء أوليس القرآن أُنزل على محمد ﷺ قال: فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيقولون: وامحمداه وامحمداه أتشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك.

قال: فيُنادى مالك بتهدد وانتهار يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب، يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لي في دار الدنيا.

يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام يا مالك لا تعذبهم بالأنكال فقد طافوا بيتي الحرام. يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى سرته من تأخذه النار إلى صدره.

فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم فتح بينهم وبين المشركين باب فرأوهم في الطبق الأعلى من النار لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يبكون ويقولون: يا محمداه ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم.

ثم ينادون يا رباه واسيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا وإن كان

قد أساء وأخطأ وتعدى فعندها يقول المشركون: ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد، فيغضب الله تعالى لذلك فعندها يقول: يا جبريل انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد فيخرجهم ضبائر قد امتحنوا فيلقيهم على نهر على باب الجنة يقال له: نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودون أنضر ما كانوا ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً[١].

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا فيوثقون بالحديد ثم أمر بهم إلى النار ثم أوصدها عليهم أي: أطبقها، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ولا والله لا يلتقي جفونهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً، فقال: ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية، قال أبو عمران هي والله يا اخوتاه أيامكم هذه[٢].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٢/٥-٣٧٣).

(٢) حلية الأولياء (٣١٢/٢).

باب
تفاوت أهل النار في العذاب

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«أن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب، ومنهم من في النار إلى صدره مع أجزاء العذاب ومنهم من في النار إلى ترقوته مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد انغمس فيها»**، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح[١].

وعن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ وقيل له: **«هل نفعت أبو طالب؟ قال: أخرجه الله من النار إلى ضحضاح منها»**، رواه البزار وفيه من لم أعرفه[٢].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«أدنى أهل النار عذاباً الذي له نعلان من نار يغلي منهما دماغه»**، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن خالد بن موهب وهو ثقة[٣].

وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قتل نفسه بشيء**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٧٨/٣)، والبزار كما في المجمع (٣٩٢/١٠)، والحاكم (٦٢٥/٤)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو يعلى (٢٠٤٧)، والطبراني في الأوسط (٨١٥٢)، وفي إسناده مجالد وهو ضعيف، وانظر كلام الهيثمي في الزوائد (٣٩٥/١٠).

(٣) رواه الطبراني (٦٢٧١)، ومجمع الزوائد (٣٩٥/١٠) والحديث صحيح.

من في الدنيا عذب به في الآخرة». رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس وهو متروك[١]، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً، قال: والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون»، رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جداً، كذا في «مجمع الزوائد»[٢].

(١) رواه البزار (٣٥٢٠)، ومجمع الزوائد (١٠/٣٩٥).
(٢) مجمع الزائد (١٠/٣٩٥).

باب
في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾

عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة:١٥]، قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا فتفتح لهم أبواب النار فإذا رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المطففين:٣٤]، الخ ذكره ابن المبارك[١].

وعن قتادة في قوله تعالى المذكور، قال: ذكر لنا أن كعباً كان يقول: أن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات:٥٥]، قال: ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلي، رواه ابن المبارك[٢] قال: وأخبرنا معمر عن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول: ﴿تَٱللَّهِ

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٦٨/١٩)، وروي نحوه عن الضحاك.

(٢) رواه الطبري (١١١/٣٠).

إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات:٥٦-٥٧]، في النار[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إن المستهزئين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم: ادخلوا الجنة فإذا جاؤوها أغلق الباب في وجوههم ويفتح لهم الثانية فيقال لهم: ادخلو الجنة فإذا جاؤها أغلق الباب ويفتح لهم الثالثة فيدعون فلا يجيبون قال: فيقول لهم الرب: أنتم المستهزئون بعبادي أنتم آخر الناس حساباً فيقومون حتى يغرقون في عرقهم فينادون يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك»، أخرجه أبو هدبة إبراهيم بن هدبة وأورده القرطبي في التذكرة[2].

---

(١) رواه الطبري (٦١/٢٣)، والقرطبي (٨٣/١٥).

(٢) التذكرة (٢/٢٣٤-٢٣٥)، والحديث رواه أبو الشيخ في الطبقات (٣٥١/١).
ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٥٧) عن الحسن مرسلاً.

باب
ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار

قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا.

قال: ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتوهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب». ذكره أبو حامد الغزالي وأورده القرطبي ولينظر في سنده[1].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٤٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٥/٤)، وابن حبان في الضعفاء (١٥٥/٣-١٥٦) بسند هالك.

باب
ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويحصل الكفار في منازلهم من النار»[١]، خرجه ابن ماجه بمعناه. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠]» إسناده وصحيح[٢]. قال القرطبي: وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في النار منزلاً في الجنة[٣].

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٣٤١) والحديث صحيح.

(٣) التذكرة (٢/٢٣٦).

باب
ما جاء في خلود أهل الدارين
وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»، أخرجه البخاري[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرفون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيسرفون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت فيؤمرون فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيها. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم:٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا». أخرجه مسلم وخرجه أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد يرفعه: «فإذا كان يوم القيامة أُتِيَ بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون، فلو أن

(١) البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة من فرحهم. ولو أن أحداً مات حزناً مات أهل النار»، وقال هذا حديث حسن صحيح[١].

وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه:

ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط. ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما يجدون لا موت فيه أبداً»[٢]، وخرجه الترمذي بمعناه مطولاً عن أبي هريرة أيضاً وفيه: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، أتي بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين الجنة والنار. ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: عرفناه. هذا هو الموت الذي وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»، قال هذا حديث حسن صحيح[٣].

---

(١) الترمذي (٢٦٨٣).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٣٢٧)، والترمذي (٢٦٨٢)، والإمام أحمد (٢/٢٦١، ٥٣٣)، والحديث صحيح.

(٣) راجع الحاشية السابقة.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يناد مناد: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم ربنا هذا الموت، فيذبح كما تذبح الشاة، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء**». رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة والطاحي نسبة إلى الطاحية بطن من الأزد ومحلة لهم بالبصرة[(١)].

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال: يا أيها الناس إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يخبركم: «**أن المراد إلى الله إلى جنة أو نار، خلود بلا موت وإقامة بلا ظعن**». رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه وزاد: «**فيه في أجساد لا تموت**»، وإسناد الكبير جيد إلا أن ابن سابط لم يدرك معاذاً[(٢)].

قلت: والذي سقط بينهما عمر بن ميمون الأودي. كما رواه الحاكم في المستدرك في أواخر كتاب الإيمان، وفي طريقه مسلم بن خالد الزنجي وهو [قال][(٣)] عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين قد نسباه إلى أن الحديث ليس من صنعته والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/٣٩٥).

(٢) «مجمع الزوائد» (١٠/٣٩٦).

(٣) ما بين [ ] من عندنا ليستقيم المعنى.

وعن عبد الله -يعني ابن مسعود- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو قيل لأهل النار أنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد**» رواه الطبراني وفيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على إضعافه[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكاً ولا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون:١٠٨]، ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيق وآخرها زفير. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، كذا في «**مجمع الزوائد**»[(٢)].

قال القرطبي: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها لا إلى غاية ولا أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم، وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا -إلى قوله- مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٦-٣٧]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٦].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/٤) وفي إسناده الحكم بن ظهير.

(٢) مرّ تخريجه.

وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:١٩-٢٢]، وقد تقدمت هذه المعاني كلها، فمن قال: إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وإنها تفنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى العقول، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥]، وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد، وهو الذي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير.

قال فضل بن صالح المغافري: كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال لنا: انصرفوا فلما كان العشية رجعنا إليه فقال: إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مسألة، فقال: يا أبا عبدالله ما تقول في أكل الجرجير فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنّم فقلت: إنه لا بأس به، فقال: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام. ذكره الخطيب أبو بكر أحمد.

وذكر أبو بكر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «**يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد يعني من الموحدين**»، هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو، ليس فيه ذكر النبي ﷺ ومثله لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع والله أعلم.

قال القرطبي: قد تقدم أن الموت معنى، والكلام في ذلك وفي الأعمال، وإنها لا تنقلب جوهراً. بل يخلق الله أشخاصاً من ثوب الأعمال. وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسمّيه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت. ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين[(١)].

قال الترمذي: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة ﷺ مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رؤوا هذه الأشياء؛ وقالوا تروى هذه الأحاديث ولا يقال كيف. وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاره وذهبوا إليه[(٢)].

قال القرطبي: وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم، لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح وفي التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، إن الموت والحياة جسمان، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها، خطوها مد البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر

(١) التذكرة (٢/١٩٦).

(٢) جامع الترمذي عقب حديث (٢٥٥٧).

بشيء أو يجد ريحها إلا حي، ولا تطأ على شيء إلى حي وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاها على العجل فتخور وحي. حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس، والماوردي عن مقاتل والكلبي[1].

(١) التذكرة (٢/٢٣٨-٢٤١).

باب
فيمن يستحق النار

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» كذا في صحاح المصابيح[1]. قال في «**مجالس الأبرار**»: المراد بها أمة الدعوة؛ فعلى هذا يدخل فيه جميع أهل الملل الباطلة، وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لأنهما مع كونهما أهلي كتاب وصاحبي شريعة إذا كانا من أهل النار بترك الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فغيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة أولى بذلك، فكأنه ﷺ قال أقسم بالله الذي نفسي بقدرته أن كل من يسمع بنبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت يكون من أهل النار. انتهى.

وعن معاوية ﵁ قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: « **ألا أن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**». أخرجه أبو داود في كتاب السنة له، وهذا الحديث، رواه أبو داود من طريقين: **أحدهما**: من طريق أحمد ابن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي. **والثاني**: من طريق عمر بن عثمان عن بقية عن صفوان، تفرد به

(١) مسلم (١٥٣).

صفوان عن أزهر[1].

قال الشوكاني في «**فتاواه**»: أما أحمد بن حنبل فهو الإمام الجليل الحافظ الذي اتفق المؤالف والمخالف على توثيقه وروى عنه أهل الصحيحين وغيرهما وهو أجل قدراً من أن يحتاج إلى تعديل وأرفع محلاً من أن يتكلم فيه متكلم بل هو إمام الجرح والتعديل وإمام الحفظ والإتقان.

وأما محمد بن يحيى فهو الإمام الجليل الثقة الثبت الحافظ، وأما عمر بن عثمان فهو القرشي مولاهم الحمصي الثقة المشهور، وفي «**التقريب**» صدوق وأما بقية فهو أحد الأعلام قال النسائي: إذا قال: حدثنا وأخبرنا فهو ثقة، وقال ابن عدي: إذا حدث عن أهل الشام فهو ثبت وقال الجوزجاني: إذا حدث عن الثقات فلا بأس به، وهو ها هنا قد صرح بالتحديث وحدث عن شامي وهو صفوان وروى عن ثقة وهو أيضاً صفوان، فحصل الشرط الذي ذكره هؤلاء الأئمة الثلاثة وقد أخرج له مسلم وأما صفوان فقال أبو حاتم: ثقة وقد أخرج له مسلم أيضاً، وأما أزهر فقال في «**التقريب**»: صدوق تكلموا فيه للنصب، وقال في «**الخلاصة**»: صدوق.

وإذا عرفت هذا فرجال إسناد الحديث كلهم ثقات أئمة إلا بقية وأزهر، وبقية لم ينفرد وأزهر تفرد وهو ضعيف؛ لأن قولهم صدوق من صيغ

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وهذا الأحاديث وهو من الأحاديث الصحيحة التي حاول بعضهم تضعيفها والراجح فيها الصحة.

التليين فيكون هذا الحديث في الطريق الثانية ضعيفاً. انتهى كلام الشوكاني.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة**» الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[1]، وفي رواية عن أبي داود «**وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة**» الحديث وأخرجه الترمذي عن ابن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي**»، أخرجه الترمذي وقال غريب[2].

وأخرج ابن ماجه مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس.

والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم ومللهم في النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب.

والحديث استشكل من جهتين؛ **الأولى**: ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والسكون في النار وذلك ينافي الأحاديث الواردة في الأمة بأنها مرحومة وبأنها أكثر الأمم في الجنة منها حديث عنه ﷺ: «**أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها**»، وغيره مما ملئت به كتب السنة من

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤)، وابن ماجة (٢٩٩١).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤).

الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله، ولو سردناها لطال الكلام.

ولما كان حديث الافتراق مشكلاً كما ترى أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة في هذا الحديث أمة الدعوة لا أمة الإجابة يعني الأمة التي دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإقرار بوحدانيته هي المفترقة إلى تلك الفرق وإن أمة الإجابة هي الفرقة الناجية يريد بها من آمن بما جاء به النبي ﷺ وحينئذٍ فلا إشكال.

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمني رحمه الله: وهذا جواب حسن لولا أنه يبعد بوجوه: الأول أن لفظ أمتي حيث جاء في كلامه ﷺ لا يراد به إلا أمة الإجابة غالباً كحديث: «**أمتي أمة مرحومة ليس لها عذاب في الآخرة**» وحديث: «**إذا وضع السيف في أمتي**» وحديث: «**ليكونن في أمتي قوم يستحلون الحرير**» وغير ذلك مما لا يحصى.

فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تحمل إلا على ما تعورف منها وعهد بلفظها ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً.

والثاني: قوله ستفترق بالسين الدالة على أن ذلك أمر مستقبل.

الثالث: قوله: «**ليأتينّ على أمتي**» فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين في المستقبل لما كان فائدة، إذ هم على هلاك اجتمعوا أو افترقوا.

الرابع: قرانهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن المفترقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ

مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥].

الخامس: ما أخرجه الترمذي عن أبي وائد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة خيبر مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما هم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله إلى أن قال: «**والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من قبلكم**»(١) وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً.

فالذي يظهر لي في ذلك أجوبة؛ **أحدها:** أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية فلا يتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال.

فإن قيل: يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق الهلاك فإن الظاهر أنهم قدراً، قلت: ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق،

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٠)، والنسائي في الكبرى (١١١٨٥)، والإمام أحمد (٢١٨/٥)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤٦)، وأبو يعلى (١٤٤١)، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠، ٣٢٩١)، والمروزي محمد بن نصر في السنة (٣٧)، وابن حبان في الصحيح.

نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، أنه جمع السبل المنهي عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحدته وعدم تعدده.

ثانيها: أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها، كأنه قيل: كلها هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة صالحها لطالحها والفرقة الناجية إن كانت مفتقرة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه.

ثالثها: أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا، وقد دل على عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا. أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى الأشعري[1]، فيكون حديث الافتراق مقيداً بهذا الحديث في قوله: «**هالكة ما لم تعاقب في الدنيا**» لكنها تعاقب في الدنيا فليست بهالكة.

رابعها: أن الإشكال في حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة بمعنى أن الافتراق في الأمة وهلاك من يهلك منها دائم مستمر من زمن تكلمه ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة، وبذلك

(١) مرّ حديث «أمتي أمة مرحومة».

يتحقق أكثرية الهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال، والحق أن القضية حينية يعنيّ أن ثبوت الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن من الأزمان، ويدل على أن المراد ذلك وجوه.

الأول: «**ستفترق**» الدالة على الاستقبال لتحلية المضارع بالسين.

الثاني: قوله: «**ليأتين**» فإنه إخبار بأمر مستقبل.

الثالث: قوله «**ما أنا عليه وأصحابي**» فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الناجون، وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون، فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه ﷺ ورضي عنهم وهلم جراً، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك.

فإذا ظهر لك أن الحكم بالافتراق والهلاك إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان لم يلزم أكثرية الهالكين وأقلية الناجين، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذي قبله جيد ولا غبار عليه.

فإن قلت: يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون الهالكون أكثر من الناجين، قلت: أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دلت على أن الهالكين أقل وذلك لقصر حينهم المتفرع عليه، فلابد من الجمع بين ما يوهم التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعين المصير إليهما.

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت

الأحاديث بفساده وفشوا الباطل وخفاء الحق وإن القابض على دينه كالقابض على الجمر، وأنه الزمان الذي يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسي كافراً، وأنه زمان غربة الدين، فتلك الأحاديث الواردة فيه التي شحنت بها كتب السنة قرائن دالة على أنه زمان كثرة الهالكين وزمان تفرق وتدابر، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من بعد القرون المشهود لها بالخيرية وأن في كل قرن بعدها فرقاً من الهالكين وأكثرها في آخر الزمان، وهذا جواب مستقل عن الأشكال.

الجهة الثانية من جهتي الإشكال في تعيين الفرقة الناجية.

قد تكلم الناس فيها، كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أوهن من بيت العنكبوت ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال، وأنه ناج بخلوصه عنها، ولو فتش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء كليلة عن عيب نفسه وبالجملة:

فكل يدعي وصلاً لليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المئونة وعين الفرقة

الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المئونة وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حتى كأنا رأيناهم رأي العين.

وبعد ذلك فمن رزقه الله إنصافاً من نفسه وجعله من أولي الألباب لا يخفاه حال نفسه أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غير من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتدعة، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متقيد بها تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها فإن ما كان عليه النبي ﷺ لقد ظهر لكل إنسان، فلا يمكن التباس المبتدع بالممتنع.

وعندي على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والهلاك هو آخر الزمان أنه لا يعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث كحديث: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس**» وفي رواية: «**الذين يفرون بدينهم من الفتن**» وفي رواية: «**الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي**».

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «**قلنا من الغرباء يا رسول الله؟! قال: قوم صالحون قليل في أناس سوء كير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**» وهم المرادون بحديث «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم**

من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله» وهم المرادون بما أخرجه الطبراني وغيره[١].

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «أن لكل شيء إقبالاً وإدباراً وأن لهذا الدين إقبالاً وإدباراً وأن من إدبار الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وأن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا توجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إن تكلما قهرا وقمعا واضطهدا وأن من إدبار الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها إلا الفقيه والفقيهان وهما مقهوران ذليلان إن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً»[٢].

فهذه الأحاديث وما في معناها في وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه زمان كثرة الهالكين وقلة الناجين، وأحاديث الغرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية في ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعريين والمعتزلة بل: «هم النزاع من القبائل» كما في الحديث وهم متبعوا الرسول ﷺ اتباعاً قولياً وفعلياً من أي: فرقة كانت، هذا وقد ذكر في الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة وذكر أنهم أهل البيت النبوي عليهم السلام ومن اتبعهم إلا أن ذلك مبني على أن القضية دائمة ثم هو

---

(١) كتب الشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة في أحاديث الغرباء بحثاً أتى فيه على أحاديث الغرباء وألم بطرقها وتفاصيل مروياتها في «سلسلة رسائل الغرباء».

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٨٠٧، ٧٨٦٣) بسند ضعيف جداً.

لا يدفع الأشكال[1].

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبني على صحة قوله «**كلها هالكة إلا فرقة**» ولا شك أنه قد ثبت في كتب السنة كما سمعته ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في بعض رسائله عن أبي محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله ما لفظه قال أبو حزم: أن الزيادة يعني قوله «**كلها هالكة إلا فرقة**» موضوعة وإنما الحديث المعروف «**إنما تفترق إلى نيف وسبعين فرقة**» لا زيادة على هذا في نقل الثقات.

فالحديث المشهور كان عند المحدثين معلا، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوي ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه في الحديث يقوي الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله ﷺ فيعلون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحا فيه، على أن أصل الحديث الذي حكموا بصحته ليس مما اتفقوا على صحته، وقد ترك إخراجه البخاري ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطهما فيه، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله في سنة ١١٣٣ الهجرية.

وفي «**الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني**» بعد ذكر حديث أبي هريرة المتقدم والكلام عليه جرحا وتعديلا ما نصه: (فتقرر بهذا أن رجال حديث أبي هريرة رجال الصحيح فيكون أصل الحديث أعني افتراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحا ثابتا.

(١) تكلم على أحاديث الطائفة الناجية والفرقة المنصورة الشيخ العودة في نفس السلسلة السابقة.

وأما الزيادة التي في الحديث الأول فضعيفة فلا تقوم بها حجة في حكم شرعي ولو على بعض المكلفين، فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي هو حكم الهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة، وزادها شرفاً وتعظيماً وتجليلاً بأن جعلها شهداء على الناس، وأي خير في أمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة.

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول: وأما زيادة «**كلها هالكة إلا واحدة**» فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ أبو حزم.

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه ما لا يقادر قدره فتحصل لواضعها ما يطلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأن كثير من المخزولين الواضعين للمطاعن المنافية للشريعة السمحة السهلة كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»[(١)] السهلة وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الأنعام:٧٨]، وقال ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسروا**»[(٢)].

وها أنا أضرب لك مثلاً وهو: أنك لو رأيت جماعة من الناس قد

---

(١) أحمد (١١٦/٦، ٢٣٣)، وغيره وهو حديث حسن.

(٢) مسلم (١٧٣٢).

اجتمعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قائل ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طلعت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك المملكة، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ولا يدري من هذا الواحد منهم يدعي لنفسه أنه الفائز بالسلامة الظافر بالغنيمة بمجرد الأمنية والدعوى العاطلة عن البرهان.

فإن قلت: أن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية هي الجماعة وقوله في حديث آخر وهي ما أنا عليه وأصحابي، قلت هذا التعيين وإن قلل شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة المعينة الدعاوي وتناوبتها الأماني، فكل طائفة من الطوائف تدعي لنفسها أنها الجماعة وأنها الظافرة بما كان عليه النبي ﷺ وأنهم الذين لا يزالون على الحق ظاهرين.

فإن قلت: أن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ممكنة ومن ادعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصف لنفسه فدعواه مردودة عليه مضروب بها في وجهه، قلت: نعم ولكن ليس ها هنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعيين وتلجئنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكلفين للكلام على هذا الحديث.

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوباً إلى الأمة حيث قال ﷺ:

«تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» كما في حديث أبي هريرة وكذلك قوله في حديث معاوية المذكور: **«وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين»**، كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الأمة أولاها وآخرها من دون تخصيص ببعض منها دون بعض ولا بعصر دون عصر، فأفاد ذلك أن هذا الافتراق المنتهي إلى ثلاث وسبعين فرقة كائن في جميع هذه الأمة من أولها إلى آخرها، ومن زعم اختصاص ذلك بأهل عصر من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضي ذلك.

وأما أنها قد ثبتت نجاة الصحابة فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً: فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصحابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول.

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندي متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلوم تعاونها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفي بعضها لا يوجب ذلك فاعرف هذا وافهمه.

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيب في اجتهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فما يقوله كثير من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في

الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر.

فالحق عند الله عز وجل متعين يستحق موافقة أجرين، ويقال له: مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال: لمخالفه أنه مخطئ كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن العاص: «**إن اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1] وفي بعض الروايات الخارجة عن الصحيح من غير حديثه أنه: «**إن أصاب فله عشرة أجور**» وهذه زيادة خارجة من مخرج حسن كما هو معروف[2].

فالنبي ﷺ قد سمى من خالف الحق مخطئاً فمن قال: إنه مصيب في الظنيات الفروعيات إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه، فاعرف هذا وافهمه حتى يتبين لك اختلاف الناس في أن كل مجتهد مصيب أم لا.

واعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ما تسميه الناس فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المجيب، وإن كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف في مؤلفاتهم). انتهى كلام الشوكاني رحمه الله.

---

(١) رواه البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٨٧/٢)، والدارقطني (٢٠٣/٤) بسند ضعيف.

وروي عن عقبة بن عامر أخرجه الإمام أحمد أيضاً (٢٠٥/٤)، فالحديث حسن إن شاء الله.

باب
في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء

قال في «مجالس الأبرار». وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنها، منها الفساد في الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح، فإن كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعاً به متيقناً له غير ظان أنه أخطأ فيه قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقة مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته سبباً لزوال بقية اعتقاداته، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يختم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير إيمان، فيكون من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر:٤٧]، وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو آخذاً ممن هذا حاله فهو واقع في هذا الخطر: ولا يدفعه الزهد والصلاح، وإنما يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله، لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منهما.

ومنها الإصرار على المعاصي، فإن من له إصرار عليها يحصل في قلبه إلفها، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته، فإن كان ميله إلى الطاعات أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات، وإن كان

ميله إلى المعاصي أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصي، فربما يغلب عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة ومعصية من المعاصي فيتقيد بها وتصير حجاباً بينه وبين ربه، وسبباً لشقاوته في آخر حياته لقوله ﷺ: «**المعاصي بريد الكفر**»(١).

والذي لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر، وأما الذي ارتكب ذنوباً كثيرة حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يتب عنها. بل كان مصراً عليها. فهذا الخطر في حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلف بها سبباً لأن يتمثل في قلبه صورتها، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها فيكون سبباً لسوء خاتمته.

ويعرف ذلك بمثال، وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى في منامه من الأحوال التي ألفها طول عمره، حتى أن الذي قضى عمره في العلم يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء والذي قضى عمره في الخياطة يرى من الأحوال المتعلقة بالخياطة والخياط، إذ لا يحضر في حال النوم إلا ما حصل له مناسبة مع قلبه لطول الألف. والموت وإن اكن فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه من الغشى قريب من النوم، فطول الإلف بالمعاصي يقتضي تذكرها عند الموت وعودها في القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها، وإن قبض روحه في تلك الحالة يختم له بالسوء.

---

(١) هذا ليس بحديث كما في «كشف الخفا» (٢/٢٧٨)، وإنما هو من قول السلف، وينسب للزاهد أبي حفص النيسابوري المتوفى سنة (٢٥٤هـ)، كما في الشعب للبيهقي (٧٢٢٣)، والحلية (١/٢٢٩)، والسير (١٢/٥١٠).

ومنها العدول على الاستقامة، فإن من كان مستقيماً في ابتدائه ثم تغير عن حاله وخرج مما كان عليه في ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته، كإبليس الذي كان في ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً في العبادة[١]، ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين، وكبلعام بن باعور الذي آتاه الله آياته فانسلخ بخلوده إلى الدنيا واتبع هواه وكان من الغاوين، وكبر صيصا العابد الذي قال له الشيطان أكفر فلما كفر ﴿قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر:١٦]، فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر:١٧].

ومنها ضعف الإيمان: فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب الله تعالى فيه ويقوي حب الدنيا في قلبه ويستولي عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات، فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي

---

(١) يشير بذلك إلى ما ورد في بعض الإسرائيليات من أن إبليس كان عابداً مطيعاً لله حتى رفعه الله مرتبة الملائكة وفاقهم حتى سمي (طاووس الملائكة).

محبوبة له وحبها غالب عليه لا يريد تركها ويتألم من فراقها، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصله في باطنه بغضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً، فإن خروج روحه في اللحة التي خطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً.

والسبب المفضي إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرح بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى، وهو الداء العضال الذي قد عم أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع، فإن خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروفاً إليها، ويحصل بينه وبين ربه حجاب.

حكي أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم، أبو حازم، فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ قال: إنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب، قال: صدقت، ثم قال: ليت عشري مالنا عند الله تعالى؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله، قال: فأين أجده؟ قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

قال: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [الأعراف:٥٦].

قال: يا ليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً؟ قال: أما المحسن فكالغائب الذي قدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه،

فبكى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاءه ثم قال: أوصني، قال إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. انتهى[١].

قال الغزالي في «**الإحياء**»: (إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم له، والحب يغلب بالرجاء، قال وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين.

ثم ذكر دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه جال الرجاء ويغلب. ثم ذكر الآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك، ثم اتبعه بيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والصالحين، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما، وبيان الدعاء الذي يستجيب به حال الخوف والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر بهيج الخوف من النار والرجاء للجنة، ولارجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ولذلك قال علي ﷺ: من أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات)[٢].

---

(١) الحلية (٣/٢٣٤-٢٣٦).

(٢) البيهقي في الشعب (١٠٦٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٧٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٨٤٣).

قال النووي في «**رياض الصالحين**»: (إن المختار للعبد في حال الصحة أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يتمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران:١٦٧]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من رحمة ما قنط من جنته أحد**» رواه مسلم[١].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**» رواه البخاري[٢]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار رجل يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**» رواه الترمذي وحسنه وصححه[٣].

---

(١) مسلم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري (٦١٢٣-ط.البغا).

(٣) رواه الترمذي (١٦٣٣، ٢٣١١)، والنسائي (١٢/٦)، وفي الكبرى (٤١١٦)، والإمام أحمد (٥٠٥/٢، ١٣٦/٤).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»، متفق عليه[١].

وعن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن وفي الباب أحاديث كثيرة)[٢] ا.هـ

قلت: وفي «**الإحياء**»: (وسوء الخاتمة على رتبتين؛ أحدهما: أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

(١) البخاري (٦٢٩، ١٣٥٨ ط.البغا)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٩)، والطبراني في الكبير (٧٩١٨)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٠٨) والحديث حسن.

والثانية: وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت، فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلابد وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وإما نظراً بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق على وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة والبله بمعزل عن هذا الخطر.

ولكن الآن قد استرخى العنان، وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان، وأنه صفوة الإيمان، ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين: علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نبأه بعد حين وينبغي لمن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء.

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر[1]

(١) الشعر وجد على قبر العبد الصالح يعقوب بن مسكين كما في «الزهد الكبير» للبيهقي (٦٧٢).

وأما الخاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان:

أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان، والآخر ضعف الإيمان وأن قلت المعاصي، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة وإلا فليس أمننا نقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا، فلا قرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا.

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
يعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منه وتكرما[1]

وبالجملة فالخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها، وقد قال صلة بن أشيم على قبر أخ له:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً[2]

ويوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا

(١) هذه أبيات ذكرها الذهبي في السير (١٠/٧٥-٧٦)، ونسبها للإمام الشافعي.
(٢) الإمام أحمد في الزهد (ص٢٠٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٢٤١).

يكلمون ولا ينظر في أمورهم ولا يأكلون فيه ولا يشربون ولا يجدون فيه روح نسيمٌ حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً، واحترقت أجوافهم جوعاً، انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتدّ لفحها، فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر.

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير والجليل والحقير، ويؤتى بالميزان ويطار الكتب إلى الشمائل والأيمان، وتكثر الخصماء ويساقون إلى الصراط ويغضب الرب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع فأنت من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هو ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه.

فهذه أهوال يوم القيامة وأصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له، وقد تصدى لذكرها القرطبي في التذكرة وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة.

فياحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء

من نعيم الدنيا ولذاتها قال أحمد بن حرب[١]: أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار، وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح، غداً بين أطباق النار يصيح، فانظر في هذه الأحوال.

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمراً قد قضي وفرغ منه، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم:٣٩]، ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ولكن ما قضى الأمر يوم. بل في أزل الآزال، ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولشك تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك.

فإن قلت: فليت شعري ماذا موردي؟ وإلى ماذا مآلي ومرجعي؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك.

فإن كلاً ميسر لما خلق له[٢] فإن كان قد يسرك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه، فاعلم أنك مقضي عليك فإن دلالة هذا

---

(١) أحد العباد والصالحين والفقهاء توفي سنة (٢٣٤هـ).

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق على صحته.

على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين).

باب
حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»، أخرجه مسلم وخرجه أيضاً البخاري، وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب[١]، ويعني بالمكاره: المشقة مثل التكاليف الشرعية أمراً ونهياً، وبالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها، وتقدم في أول الكتاب حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذي وأصحاب السنن عن أبي هريرة وقال فيه أبو عيسى حديث حسن صحيح[٢].

قال القرطبي: المكاره كل ما يشق على النفس فعله، ويصعب عليها عمله كالطهارة في الصلوات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب والمصيبات، وجميع المكروهات، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الحفاف الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها، والنار لا ينجي منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها.

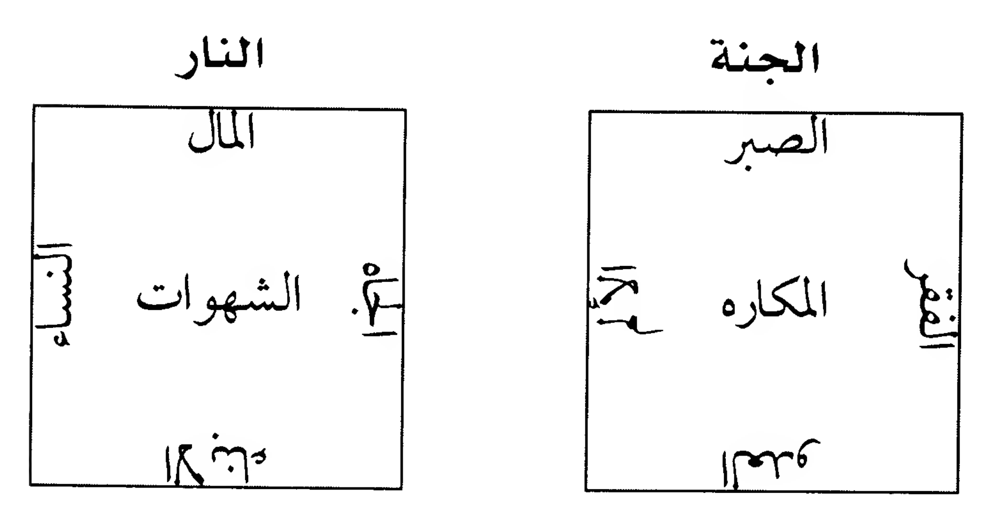
---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢)، والترمذي (٢٥٥٩)، وعند البخاري: حجبت.

(٢) مرّ تخريجه.

ولقد روي عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال: «**طريق الجنة حزن بربوة، وطريق النار سهل بسهوة**» ذكره صاحب الشهاب[1]، والحزن وهو الطريق الوعر المسلك والربوة هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابي، والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في «**سراج المريدين**» له في الحديث: أي: جعلت على حافتها وهي جوابها، وتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها في جوانبها من الخارج. ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هي من داخل وهذه صورتها:



---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٢٧/١)، والقضاعي في الشهاب (١١٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٧٩٦)، من طريق نوح بن جعونه عن مقاتل بن حيان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعاً وفيه: «**إن عمل الجنة حزن بربوة ثلاثاً وإن عمل النار سهل بسهوة**».
نوح بن جعونه قال الذهبي: أتى بخبر منكر .. ثم ذكر الحديث وقال والآفة من نوح وله طريق أخرى عند البيهقي في الشعب أيضاً (١٤٦١) بسند فيه متروك.

وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله: الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات فمن اطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال، وفي الصحيحين **«حجبت»** بدل حفت في الموضعين(١).

قال القرطبي فإن قيل: (قد قال حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه، وتعلق باله بها، وجهله بما جعلت فيه وحجبت). انتهى(٢).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»**، أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، وهو ضعيف عند أهل الحديث، تكلم فيه شعبة(٣).

---

(١) قد مر ذكر هذا وإن هذه رواية البخاري.

(٢) التذكرة (٢/٩٣-٩٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٠١)، وابن المبارك في الزهد (٢٧)، وابن عدي في الكامل (٢٠٣/٧)، من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

ورواه الطبراني في الأوسط (١٦٣٨)، من طريق عيسى بن يونس الطرسوسي ثنا محمد بن مصعب القرمساني ثنا همام بن يحيى عن قتادة عن أنس.

همام: ثقة ربما وهم والطرسوس والقرمساني: كلاهما صدوق ورواه ابن عدي الجرجاني في الكامل (٢٥٧/٥)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص٣٧٧، ٤٣٤)، من طريق سعد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن الربيع بن خيثم عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

وقد سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: (ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة؟

فأجاب: عمل أهل النار الإشراك بالله تعالى وتكذيب للرسل والكفر والحسد والكذب والخيانة والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والعلانية واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرماته وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة، أي: اعتقاداً وعملاً، وطاعة المخلوق في معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار اليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله

ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمته وقـراءة القـرآن وذكـر الله ودعـاؤه ومسـألته والرغبـة إليـه والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله الكفار والمنافقين.

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمّن ظلمـه، فإن الله أعـد الجنـة للمتقـين ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤]، ومـن أعمالهم العدل في جميع الأمور وعلى جميع الخلق حتى الكفار وأمثال هـذه الأعمال والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، فعمل أهل الجنة الإيمان والطاعة وعمل أهل النار الكفر والفسوق والعصيان.

وتفصيل الجملتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخـل في معصيـة الله ورسـوله فمـن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلـك الفوز العظيم، ومن يعصي الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها ولـه عـذاب مهين). انتهى كلام شيخ الإسلام[1].

وهـو كـالشرح لحديـث البـاب «**حفـت الجنـة بالمكـاره وحفـت النـار بالشهوات**» وكتاب «**شعب الإيمان**» للبيهقي يشتمل على أشيـاء هـي مـن أعمال أهل الجنة وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين باباً[2] اختصـره أبـو

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٢٢/١٠-٤٢٤)، مع اختلاف يسير.

(٢) طبع عدة مرات.

حفص عمر بن علي القزويني[1] الإمام بجامع الخليفة ببغداد في نحو كراستين.

وأصل الكتاب حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بعض وسبعون شعبة أعلاها أو فأرفعها أو فأفضلها على اختلاف الروايات قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**» فالإيمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل الجنة وهذا بيانها بحذف الأدلة على سبيل التعديد.

فالأول منها الإيمان بالله عز وجل ثم الإيمان برسل الله ثم بالملائكة ثم بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ثم باليوم الآخر ثم بالبعث بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ثم بأن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار ثم بوجوب محبة الله تعالى ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ثم بوجوب الرجاء منه سبحانه وتعالى.

ثم بوجوب التوكل عليه تعالى وتبارك ثم بوجوب حب النبي ﷺ ثم بوجوب تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ثم شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر ثم طلب العلم ومعرفة الباري تعالى وصفاته وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المتنبي وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة،

---

(١) طبع بتحقيق المحدث عبدالقادر الأرناؤوط رحمه الله تعالى في دار ابن كثير ونسبه بعضهم لابن رجب الحنبلي خطأً بناءً على بعض المخطوطات.

والقرآن والحديث مشحونان بفضائل العلم والعلماء وفيه كتاب «**مفتاح دار السعادة**» للحافظ ابن القيم رحمه الله(١) وهو كتاب لا يوجد نظيره في الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد.

وفي ذلك كتاب «**العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**»(٢) لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً في هذا الباب مغن عن كثير من الكتب ثم المرابطة في سبيل الله تعالى ثم الثبات للعدو وترك الفرار من الزّحف ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغانمين وكل ذلك مذكور في كتابي المسطور ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس في صوم رمضان ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشيء يعفى أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب ثم الإيفاء بالعقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، ويدخل فيه الكذب والغيبة والنّميمة والفحش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب

---

(١) طبع في ثلاثة مجلدات.
(٢) تقدم ذكره في مقدمة هذا الكتاب.

فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال المحرمة.

ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل مالا يستحقه شرعاً ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها.

وهي أنواع كثيرة مبسوطة في كتب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزي والأواني وما يكره منها ثم تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة ثم الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل ثم ترك الغل والحسد ونحوهما من الخصال المذمومة على لسان الشرع ثم تحريم أعراض الناس وما يجب ثم ترك الوقيعة فيها ثم إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمعة ثم السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرابين وجملتها الهدي والأضحية والعقيقة ثم طاعة أولي الأمر إلا في معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم التعاون على البر والتقوى ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى المماليك ثم حق السادة على المماليك وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما يطيقه.

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك، ثم رد السلام ثم عيادة

المريض ثم صلاة الجنائز ثم تشميت العاطس ثم معاداة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم.

ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم الستر على أصحاب القروف أي: الذنوب ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة.

ثم الزهد وقصر الأمل، ثم الغيرة وترك المراء، ثم الإعراض عن اللغو، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير. ثم إصلاح ذات البين، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه[1].

ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم. وفي حديث أنس في صحيح البخاري: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ذكرها البيهقي في شعب الإيمان، وزاد القزويني عليها في بعض الشعب آية أو آيات أو حديثاً أو كلمات أو حكايات أو بيتاً أو أبياتاً لم يذكرها البيهقي.

وإذا أحطت بما ذكرنا علماً عرفت إن ذلك كله من المكاره التي حفت بها الجنة وإن خلاف ذلك كله من الشهوات التي حفت بها النار، وهذا باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال المكاره المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات.

---

(١) رواه البخاري (١٣-ط.البغا)، ومسلم (٤٥).

هذا وأقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾ [آل عمران:١٣٤].

باب
من دخل النار من الموحدين
ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة**». أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح قد روي من غير وجه عن جابر(١).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**» قال أبو سعيد: «**فمن شك فليقرأ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]» أخرجه الترمذي وحسنه وصححه(٢).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة**

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩٧)، والإمام أحمد (٣/٣٩١).

ورواه أبو الشيخ في الطبقات (٢/٣٧٦) عن أبي هريرة والحديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٧٩٤) والحديث صحيح.

أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة في حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله قد كان يرعى بالبادية[١].

قال القرطبي: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلداً فيها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وقيل: يجوز أن تكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتاً حقيقةً فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ.

وقد سماه الله وفاة قال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢]، فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة التي هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨]، وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خر صعقاً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً، وكذلك يجوز أن يكون إماتتهم غيبتهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغبن به عن آلامهن.

والتأويل أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ولقوله في نفس الحديث حتى إذا كانوا فحماً، فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على

(١) مسلم (١٨٥).

الحقيقة وليسوا بأموات.

فإن قيل ما معنى إدخالهم النار وهم غير عالمين؟ قيل: أن يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم(١).

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج أو أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»، أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح(٢) وعنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام**»، أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب(٣).

(١) التذكرة (٢/٥٨-٥٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩٣)، والإمام أحمد (٣/٣٧٦)، وأبو يعلى (٣٢٧٣)، والطبراني في الصغير (٨٧٥)، وعبد بن حميد (١١٧٢)، وابن منده في الإيمان (٨٧٢) والحديث صحيح.

(٣) خرجه الترمذي (٢٥٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٤٠)، وأبو الشيخ في الطبقات (٣/١٦) بسند ضعيف قاله الألباني.

باب
في الشفعاء وذكر الجهنّميين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «**أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان**»، أخرجه ابن المبارك[١].

وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بعد قوله في نار جهنم: «**حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً، منهم من أخذته النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون: ربنا ما بقي أحد ممن أمرتنا به، فيقول جل جلاله: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر ممن**

(١) رواه الإمام أحمد (٢/١٧٤)، وابن المبارك في الزهد (٣٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٤) بسند ضعيف.

أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء:٤٠]، فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين»[١].

وفي البخاري بدله[٢] «وبقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيليهم على نهر على أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها يكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض.

فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي لا أسخط عليكم بعده أبداً». أخرجه ابن ماجه. وفي الباب أحاديث

(١) مسلم (١٨٣).

(٢) هي عند مسلم أيضاً.

وروايات بطرق وألفاظ.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت العرش: إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلي أهل الجنة**» قال وأكثر ظني أنه قال: «**مثلي أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله**»(١).

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة: منها أن الإيمان يزيد وينقص، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم، وقيل: المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول: أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه لقوله «**الأعمال بالنيات**» ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم، رقة على يتيم خوفاً من الله تعالى رجاء له توكلاً عليه ثقة به: مما هي أفعال القلب دون الجوارح، وسماها إيماناً لكونها في محل الإيمان، وهذا الذي قواه القرطبي وأيده في التذكرة.

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فتسميهم أهل الجنة الجهنميين**»، خرجه البخاري(٢). وعن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**ليخرجنّ قوماً من أمتي بشفاعتي يسمون الجهنميين**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١/٤١١) عن عكرمة من قوله.

(٢) البخاري (٦١٩١، ٧٠٢–ط.البغا).

أخرجه البخاري وأبو داود أيضاً[(١)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». زاد الطيالسي «**قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة**»[(٢)] وذكر أبو داود والدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم أنا بشرار أمتي، قالوا: فكيف أنت بخيارها، قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي**»[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين**»، رواه ابن ماجه، وفي الباب أحاديث بألفاظ وطرق[(٤)].

---

(١) البخاري (٦١٩٨-ط.البغا)، وأبو داود (٤٧٤٠)، وابن ماجة (٤٣١٥).

(٢) رواه الطيالسي (١٦٦٩)، وعنه الترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٤٣١٠).

وفي الباب عن أنس وابن عباس.

قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد [وقد رواه عن أبيه عن جابر] وقد تكلم على رواية جابر ابن كثير وحكى أن رواية أنس هي الصحيحة. وهي عند الترمذي (٢٣٤٥)، والإمام أحمد (٢١٣/٣)، وأبو يعلى (٣٢٨٤) وغيرهم.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦١٢٥)، وفي الكبير (٧٤٨٣)، وابن عدي (١٦٤/٢-١٦٥) بسند ضعيف جداً.

وله طريق أخرى عند أبي نعيم في الحلية (٢١٩/١٠) ولا تصح.

(٤) رواه ابن ماجة (٤٣١١)، من طريق أبي بدر عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي عن حراش عن أبي موسى.

وذكر الدارقطني في العلل نفس هذه الرواية إلا أنه قال: عن يحيى بن حراش أحسبه عن أبي موسى.

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعي نحوه وفي آخره: «**قلنا: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنا من أهلها، قال هي لكل مسلم**»(١).

قال القرطبي: شفاعة رسول الله ﷺ والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق، ومن لم يكن معه من الإيمان خير من الدين يتفضل الله عليهم فيخرجوهم من النار فضلاً وكرماً وعداً منه حقاً، وكلمته صدقاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فسبحان الرءوف بعبده الوفي بعهده. انتهى(٢).

=وذكر أيضاً أن بعضهم رواه عن أبي بدر مرسلاً فلم يذكر أبي موسى وقد رواه القرطبي في التذكرة (٧٢/٢-٧٣) بسنده من هذا الوجه.

ورواه معمر بن سليمان زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن ابن عمر مرفوعاً رواه الإمام أحمد (٧٥/٢)، وابن أبي عاصم (٧٩١).

ثم قال الدارقطني: وليس فيهما شيء صحيح. العلل (٢٢٦/٧).

(١) رواه ابن ماجة (٤٣١٧)، والإمام أحمد (٢٨/٦-٢٩)، والطبراني في الشاميين (٥٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٢٠) والحديث قوي الإسناد.

وروي بلفظ آخر هي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً رواه الترمذي (٢٤٤١).

(٢) التذكرة (٧٤/٢-٧٥).

باب

في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي ﷺ يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك

عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»، أخرجه ابن ماجه[1] وعن ابن مسعود قال: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقيون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ -إلى قوله- فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٢-٤٨][2].

قال ابن مسعود: فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم. أخرجه ابن السماك أبو عمرو عثمان بن أحمد[3] وقيل: أن هذا هو المقام المحمود لنبينا ﷺ كما أخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله أي: ابن مسعود ولفظه قال: ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام، ثم يقوم إبراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام، ثم يقوم نبيكم رابعاً

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٣١٣)، وابن عدي (٢٦٢/٥)، والعقيلي (٣٦٧/٣)، وعزاه البوصيري للبزار وأبي يعلى في «المسند الكبير» وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن متروك الحديث وعلاق بن أبي مسلم مجهول.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٦٠٠١).

(٣) ذكره القرطبي (٦٢/٢).

فيشفع لا يشفع لأحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قاله الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩][(١)].

وعن عبد الله بن أبي الجدعا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قيل: يا رسول الله سواك قال: سواي**»، قلت: أنت سمعته من رسول الله؟ قال: أنا سمعته. أخرجه ابن ماجه والترمذي. وقال حديث حسن صحيح غريب، ولا يعرف لابن الجدعا غير هذا الحديث الواحد، وخرجه البيهقي في دلائل النبوة[(٢)].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر. قال: قيل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قال: إنما أقول ما أقول**»، قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان. أخرجه ابن السماك[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة**». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن[(٤)] وعن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل**

---

(١) التذكرة (٢/٦٣).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٣١٦)، والدارمي (٢٨٠٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/٣٧٨) والحديث صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٧) والحديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٤٠)، والإمام أحمد (٣/٦٣) بسند فيه عطية العوفي.

ليشفع للرجلين والثلاثة»[1]. قال القاضي عياض في الشفاء عن كعب: إن لكل رجل من الصحابة ﷺ شفاعة.

قال القرطبي: إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]، وقال: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦]، ومن يرضاه الله لا يخزيه أبداً. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم:٨] الآية؟

قلنا: هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق. وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت في قوم لا يخرجون من النار.

قال ابو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء: إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلاً، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه.

---

(١) «مجمع الزوائد» (٢٨٣/١٠).

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة. انتهى.

ثم ذكر آيات وأخبار، منها حديث: «**اختلاف الناس إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ثم إلى محمد** ﷺ»، قال فهذه شفاعة رسول الله ﷺ ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً.

قلت: ولكن هذه الشفاعة تكون بإذن من الله سبحانه، كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ورسول الله ﷺ أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، اللهم ارزقنا شفاعته يوم القيامة. قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

وقال في المواهب اللدنية: وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور الشيطان لهم ولعبه بهم، فإنه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله ﷺ حداً يشفع فيهم، ورسول الله أعرف به وبحقه من أن يقول لا أرضى أن يدخل أحداً من أمتي النار ويدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له في الشفاعة فيمن شاء الله أن يشفع فيه، ولا يشفع في غير من أذن له ويرضيه.

وقال الخازن تحت الآية الأولى: هذا استفهام إنكار، والمعنى لا يشفع

عنده أحد إلا بأمره وإرادته، وذلك إن المشركين زعموا أن الأصنام يشفعون لهم، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يريد بذلك شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض. ا.هـ

وفي الكبير: لا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى، فيكون الشفيع في الحقيقة الذي يأذن الله له في تلك الشفاعة.

وقال في الخازن أيضاً: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، أي: لا يشفع أحد إلا بإذنه. وفي الحديث: «**فأستأذن على ربي فيأذن لي**»، وقال الشيخ زين الدين بن علي المقري في مرشد الطلاب:

اعلم أنه ﷺ لا يشفع لجميع عباد الله، بل يشفع لمن أذن الله في شفاعته، انتهى.

وفي تفسير الحدادي: لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بأمره ورضاه، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما يشفع الأنبياء للمؤمنين.ا.هـ

وفي الباب أخبار وآثار كثيرة، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا يتسع هذا المقام لبسطها.

الخاتمة

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى:٥]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٢١].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة:٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، وقال: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف:٦٤]، وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿لَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:٥٨]، وقال تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر:٧-٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشورى:٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة:١٥]، وهذه غير الأولى.

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم وهما مشتقتان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، وقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى.

قال القرطبي: وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع، وقيل: فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أو العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وإن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها، وأنه هو المفضل لهما على خلقه. ذكره الشوكاني رحمه الله في تفسيره فتح القدير.

قال البيهقي في الأسماء والصفات قال الحليمي في معنى الرحمن: أنه المزيح للعلل وفي معنى الرحيم أنه المثيب على العمل، فلا يضيع لعامل عملاً ولا يهدر لساع سعياً وينيله بفضله رحمته من الثواب أضعاف عمله.

وقال الخطابي: ذهب بعضهم إلى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقاً منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبراني؛ وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة ينبئ عن المبالغة ومعناه ذو الرحمة لا نظير له فيها ولذلك لا يثني ولا يجمع فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح(١).

وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب:٤٣]، والرحيم بمعنى راحم وبناء فعيل أيضاً للمبالغة، وقال ابن عباس: الرحمن هو الرفيق والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر وقال عبد الرحمن بن يحيى: الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن:١-٢]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب:٤٣]،

(١) تكلم على اسم الرحمن الرحيم وصفة الرحمة نحو هذا الكلام ونقل نحو هذه الأقوال القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/١).

وقال في فواتح السور غير التوبة بسم الله الرحمن الرحيم، وقال في فاتحة الآيات الرحمن الرحيم وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢].

وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة عامة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها على وجه الكمال إن شاء الله تعالى يوم الدين ونعم الصالحين والطالحين من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو الخطايا والجرائم للخطائين.

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة ووصف رسوله محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فوقعت أمته المرحومة بين رحيمين كريمين والرحيم إذا قدر رحم والكريم إذا غلب غفر، فالرحمة والمغفرة للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامتثال بإتيان صوالح الأعمال ثابتتان بأدلة القرآن ونصوص السنة لاسيما أنه سبحانه يتوب على التائبين ويغفر للمستغفرين، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزي المحسنين، ويحب المتطهرين التوابين وقد سبقت رحمته على غضبه ورضاه على سخطه وعفوه على انتقامه وهو أحق بذلك وأولى وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعي مؤلفاً مستقلاً ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئاً نذراً رجاء العفو والغفران من الرحيم الرحمن فإنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي**»، أخرجه الشيخان والترمذي[1] وعند البخاري رحمة الله في رواية أخرى: «**أن رحمتي غلبت غضبي**»[2]، وعند الشيخين في أخرى، «**سبقت غضبي**»[3] وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعون وأنزل الله في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»، أخرجه الشيخان والترمذي[4].

وعن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسع وتسعون ليوم القيامة**»، أخرجه مسلم وله في أخرى: «**أن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة**».

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري وفي بعض طرق أبي هريرة: «**فإذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكملها**

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٢ ط.البغا)، ومسلم (٢٧٥١)، والترمذي (٣٥٤٣).

(٢) البخاري (٣٠٢٢ ط.البغا).

(٣) البخاري (٦٩٨٦، ٧٠١٥ ط.البغا)، ومسلم (٢٧٥١).

(٤) مسلم (٢٧٥٢).

مائة رحمة فرحم بها عباده يوم القيامة»[١].

وفي رواية أخرى: **«فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فكملن مائة رحمة حتى أن إبليس ليتطاول إليها رجاء أن ينال منها شيئاً»**[٢].

وقال ابن مسعود: ولن تزال الرحمة بالناس حتى أن إبليس ليهتزّ صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين[٣]. وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على رسول الله ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها إذا وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه قال: فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها»، أخرجه الشيخان[٤].

وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يرحم الله من لا يرحم الناس»** متفق عليه عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ يقول: **«لا تنزع الرحمة إلا من شقي»**. رواه أحمد والترمذي[٥].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم**

(١) حديث سلمان رواه مسلم (٢٧٥٣)، أما حديث أبي سعيد فرواه الحاكم (٦١٤/٢) بسند جيد.
(٢) لم أجده بهذا اللفظ أما تطاول إبليس رجاء أن ينال من الشفاعة شيئاً فوردت من غير وجه.
(٣) لم أجده.
(٤) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).
(٥) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والإمام أحمد (٣٠١/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٤) بسند جيد.

الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواه أبو داود والترمذي[١].

قال الحسن: يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وقال ﷺ: **«ينادي مناد من تحت العرش يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت النبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتي»**[٢].

ويروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣]، فقال الأعرابي: أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها؟ فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه، وقال الصنابحي: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال: مهلاً لم تبك فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار أو حرمه الله على النار»**. أخرجه مسلم[٣]، والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخاري ومسلم وغيرهما من الأئمة.

---

(١) أما حديث جرير فرواه البخاري (٧٣٧٦) ومسلم (٢٣١٩).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والإمام أحمد (٢/١٦٠)، والحميدي في مسنده (٥٩١)، ومن طريقه البخاري في الكنى (٥٧٤) والحديث صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٩).

وقال الأصمعي: كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابي جالس يسمع، فقال: يا هذا من يلي هذا من العباد قال: الله تعالى، فقال الأعرابي: إن الكريم إذاً قد غفر. وعن جابر ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به دخل النار) رواه مسلم[١].

وعن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**». أخرجه الشيخان[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**». رواه مسلم[٣].

وعن أبي أيوب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لولا إنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون يغفر لهم**». أخرجه مسلم[٤].

وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**». رواه مسلم[٥].

---

(١) رواه مسلم (٩٣) عن جابر.
(٢) رواه البخاري (٤٠٠٩)، ومسلم (٣٣).
(٣) رواه مسلم (٢٧٤٩).
(٤) رواه مسلم (٢٧٤٨).
(٥) رواه مسلم (٩٤٨).

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم». رواه مسلم(١).

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته». أخرجه الشيخان(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول». متفق عليه(٤).

وعن جابر رضي الله عنه إنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يموتنّ أحدكم إلا وهو

---

(١) رواه مسلم (٢٧٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٤) بهذا اللفظ رواه مسلم (٢٦٧٥)، وروي بلفظ مختلف عند البخاري (٧٤٥٠).

يحسن الظن بالله عز وجل». رواه مسلم.

وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منكم ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي لأتيتك بقرابها مغفرة**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]، قال: «**فقال الله تعالى: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله آخر، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له**». أخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وقال: هذا حديث حسن غريب وروى عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها**»(٢).

وقال أبو غالب: كنت أختلف إلى أبي أُمامة بالشام، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبي أُمامة ﷺ وعنده عم له وهو يقول: يا عدو الله ألم آمرك ألم أنهك، فقال الفتى: يا عماه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، بسند جيد أما حديث جابر المتقدم فقد رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجة (٤٢٩٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، وأبو يعلى (٣٣١٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٦٩) والحديث حسن.

كيف كانت صانعة بي؟ قال: تدخلك الجنة، قال: الله أرحم بي من والدتي، وقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فلما آن سواه صاح وفزع فقلت له: مالك، فقال: فسح له في قبره وملئ نوراً[١].

وقال هلال بن سعيد: يؤمر بإخراج رجلين من النار، فيقول الله تعالى: كيف وجدتما مقيلكما؟ فيقولان شر مقيل، فيقول الله تعالى: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد. ويؤمر بصرفهما إلى النار، فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما، فيقول الذي عدا: قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانياً: ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك أنت لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة[٢].

قال القرطبي: هذا الخبر رفعه الترمذي أبو عيسى بمعناه.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب تبارك وتعالى: أخرجوهما فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا نفسكما حيث كنتما من النار، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه، فيقول الله تبارك وتعالى: ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب**

---

(١) راجع أخبار أهل القبور في كتاب ابن رجب «**أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور**» بتحقيقنا.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٢٢٦).

إني أرجو أن لا تعيدني بعدما أخرجتني منها، فيقول الله تبارك وتعالى: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله تعالى».

قال أبو عيسى إسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الإفريقي والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث(١).

وذكر أبو نعيم الحافظ عن إسحاق بن سويد قال: صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة فلم أسمعه يكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق، قال: ثم حدثنا قال: بلغني أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويوقف بين يدي الله تعالى فيقول: انظروا في حسناته فلا يوجد له حسنة، فيقول انظروا: في سيئاته فيوجد له سيئات كثيرة فيذهب إلى النار وهو يلتفت، فيقول -أي الرب تعالى- ردوه إلي لم تلتفت: فيقول أي: رب لم يكن هذا ظني أو رجائي فيك، شك إبراهيم، فيقول صدقت فيؤمر به إلى الجنة(٢).

قال القرطبي: هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال: أخبرنا رشدين بن سعد قال حدثني أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما حدثاه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق يؤتى برجلين فيؤمر بهما إلى النار:**

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٩٩)، وابن المبارك (٤١٠) بإسناد ضعيف.

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص٢٤٩)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢/٢٩٥).

فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده: ردوه فيردوه فيقال له: لم التفت، فيقول: كنت أرجو أن دخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة قال: فيقول: لقد أعطاني ربي حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئاً». قالا أي: فضالة وعبادة، فكان رسول الله ﷺ: إذا ذكره يرى السرور في وجهه[1].

قال القرطبي: وفي هذا المعنى خبر الرجل الذي يرفع له شجرة بعد أخرى حين يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة، أخرجه مسلم في الصحيح. انتهى. وقد تقدم فيما سبق.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن شئتم أنبئكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون: قالوا: نعم يا رسول الله، قال: إن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، قال: وما حملكم على ذلك؟ فيقولون: رحمتك أي: رب ورضوانك وعفوك، فيقول: فإني قد أوجبت لكم رحمتي»**[2].

وعن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله، ثم مات فقال: أي: رب مالي عندك، قال: النار، قال: يا رب فأين عبادتي واجتهادي، فقيل له: إنك كنت

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٢١) بسند ضعيف، وقد رواه مسلم (١٩٣) بنحوه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٥١، ٢٠/١٢٥)، والطيالسي (٥٦٤)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٨) بسند لا بأس به.

تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتي[١].

وقال مقاتل: قال علي بن أبي طالب ﷺ: الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله[٢]، ذكر ذلك كله القرطبي في التذكرة له وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر.**

ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء». رواه الترمذي وابن ماجه.

كذا في مشكاة المصابيح، والسجل الكتاب الكبير، والبطاقة على وزن الكتابة[٣] الرقة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن ما يجعل هي فيه إن

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٨٨/١١)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢٢٢/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢).

(٢) رواه الدارمي (٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٢٦/٣).

(٣) حديث البطاقة رواه الترمذي (٢٦٣٩)،وابن ماجة (٤٣٠٠)، والإمام أحمد (٢١٣/٢)، وعبد بن حميد (٣٣٩) والحديث صحيح.

كان عيناً فوزنه أو عدده وإن كان متاعاً فثمنه، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هدب الثوب. كذا في القاموس. قال الطي فيكون حينئذٍ الباء زائدة. ا.هـ

قال في اللمغات: وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل، وهي لغة أهل مصر وليس مادته بطق انتهى، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة.

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه:

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقة

ولشيخنا وبركتنا القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله كتاب سماه الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة، وهو كتاب نافع جداً ينبغي لأهل العلم والدين الاشتغال به ليسعدوا بكل سعادة ويتجافوا عن كل موجب للشقاوة.

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ومن كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصية ومن كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ومن كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو علم أفدناه أو استفدناه.

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً أو باطناً أولاً وآخراً فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض، ونحن خلق من خلق الله عز الله ولا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه.

وقد قال جابر بن عبد الله: من زدت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومن زادت سيئاته على حسناته يوم القيامة فذلك الذي لا يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره بعدما يأذن الله سبحانه وتعالى له في حق من شاء.

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته إنه قريب مجيب الدعوات.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [النساء:١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾ [الأنفال:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٣٥]، الآية والآيات في الباب كثيرة معلومة.

عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظنّ بي ما شاء**» أخرجه الدارمي[(١)].

---

(١) رواه الدارمي (٢٧٣١)، والإمام أحمد (٣/٤٩١)، وابن حبان (٦٣٣، ٦٣٤)، والحاكم (٤/٢٦٨) والحديث صحيح إن شاء الله تعالى.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجه عمله، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضلاً**». رواه الدارمي[1] وعنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[2].

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». الحديث رواه الدارمي[3].

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**». رواه مسلم[4].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**». أخرجه مسلم[5].

اللهم إنك تعلم أني أعلم أنه لا إله إلا الله وأني أشهد أن محمداً رسولك، وأن الجنة حق وأن النار حق، وقد قال رسولك في حديث عبادة بن الصامت: «**من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

---

(١) رواه الدارمي (٢٧٣٣)، وأصله عند مسلم (٢٨١٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجة (٤٢٥١)، والإمام أحمد (٣/١٩٨)، وعبد بن حميد (١١٩٧)، وأبو يعلى (٢٩٢٢)، والروياني (١٣٦٦) والحديث صحيح.
لم أجده عن الدارمي.

(٣) رواه الدارمي (٢٧٥٦)، والبخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، وروي عن عائشة وأبي موسى رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) رواه مسلم (٢٩)، وقد تقدم.

(٥) رواه مسلم (٢٦).

هذا الحديث متفق عليه[١].

وإني أستغفرك وأتوب إليك وأرجو رحمتك التي سبقت على غضبك، فتب عليَّ يا تواب واغفر لي يا غافر الذنب، وأجرني من النار واختم لي بالحسنى وزيادة وارحمني رحمة في عبادك الصالحين، فإنك كما قلت في مواضع من كتابك ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) مرّ تخريجه.



الفهارس العامة

- فهرس الآيـــات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثـــار
- فهرس الأشـــعار
- فهرس الـكـــتب
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

البقرة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

هود

يوسف

الرعد

إبراهيم

الحجر

النحل

الإسراء

الكهف

مريم

طه

الأنبياء

الحج

المؤمنون

النور

الفرقان

الشعراء

النمل

العنكبوت

لقمان

السجدة

الأحزاب

سبأ

فاطر

يس

الصافات

ص

الزمر

غافر

فصلت

الشورى

الزخرف

الدخان

الجاثية

الأحقاف

محمد

الفتح

ق

الذاريات

الطور

النجم

القمر

الرحمن

الواقعة

الحديد

المجادلة

الحشر

الصف

التحريم

الملك

الحاقة

المعارج

نوح

الجن

المزمل

المدثر

القيامة

الإنسان

المرسلات

النبأ

النازعات

الضحى

التين

العلق

البينة

التكاثر

الهمزة

المسد

الفلق

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات